

ماجد سليمان

Majed suleiman

المَلَهَاءُ النَّجْدِيَّةُ

ما دَبَّجَهُ الْأَعَشَى قُبَيْلَ مَوْتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

prose

ماجد سليمان

المَلْهَاءُ النَّجْدِيَّةُ

ما دَبَّجَهُ الْأَعَشَى قُبَيْلِ مَوْتِهِ

ماجد سليمان أديب سعودي، تنوع أدبه بين الشعر والقصة والرواية والمسرحية. كُتب حول أعماله عدد من الأطروحات العلمية والدراسات النقدية في جامعات محلية وعربية وعالمية، وتُرجمت بعض نصوصه إلى لغات منها البوسنية والألمانية والإنجليزية. صدر له:

شعراء من عائلي مُنتخبات ٢٠٠٢م. سهيل القوافي مُنتخبات ٢٠٠٣م. نرف الشعراء مُنتخبات ٢٠٠٤م. ملاذ أخضر أشعار ٢٠٠٨م. عين حمئة رواية ٢٠١١م. دم يترقق بين العمائم واللحى رواية ٢٠١٣م. نجم نابض في التراب قصص ٢٠١٣م. طيور العتمة رواية ٢٠١٤م. قبة تطير في الريح قصائد ونثائر ٢٠١٤م. الآباء مسرحية للأطفال ٢٠١٤م. الصندوق قصة للأطفال ٢٠١٤م. أجراس قصيدة للأطفال ٢٠١٤م. 23 أبريل مقالات ٢٠١٥م. وليمة لذئاب شرهة مسرحية ٢٠١٦م. شرق الأرض غرب البحر مسرحية ٢٠١٨م. ما روته كاميليا قصص ٢٠١٩م. ليل القبيلة الطاعة ملحمة ٢٠١٩م. نسوة السوق العتيق رواية ٢٠٢٠م. رأس بين مطرقتين مسرحية ٢٠٢٢م. خان جلييلة رواية ٢٠٢٣م. منامات نوح عبدالرحيم وأحواله قصص ٢٠٢٤م. رسالة الرجاس اليمامي ٢٠٢٥م.

نشاطاته:

أشرف عام ٢٠٠٨م على إعداد ملف التراث في مجلة وجوه الكويتية. ساهم عام ٢٠١٢م في إعداد مجلة الفنون السعودية. اختيرت روايته عين حمئة في القائمة الطويلة من جائزة الأمير سعود بن عبدالمحسن للرواية ٢٠١٢م. اختير عام ٢٠١٣م للمشاركة في مؤتمر الأدباء السعوديين المنعقد في المدينة المنورة. اختير عام ٢٠١٣م لإقامة ندوة بعنوان تجربي في الكتابة في نادي الرياض الأدبي. اختير عام ٢٠١٤م للمشاركة في ورشة إبداع ندوة التي تنظمها الجائزة العالمية للرواية العربية سنوياً للكتاب المتميزين في أبو ظبي. اختير عام ٢٠١٥م ضيفاً في معرض أبو ظبي الدولي للكتاب. اختير عام ٢٠١٦م عضواً في لجنة تحكيم جائزة اتصالات لكتاب الطفل في نسختها الثامنة في الشارقة. اختير عام ٢٠١٧م لإقامة ندوة بعنوان تجربي في الكتابة في جامعة الملك سعود في الرياض. مُنح عام ٢٠١٨م شهادة شكر وتقدير من المنظمة الإنسانية الدولية: مؤسسة الشريف أسامة المفتي (الأردن)، وذلك على إسهاماته الأدبية وخدمة العربية. اختير عام ٢٠٢٠م عضواً في لجنة تحكيم مسابقة لمَتنا سعودية التي انطلقت بحملة مجلتي سيدتي والرجل بمناسبة اليوم الوطني السعودي الـ ٩٠. اختيرت إحدى قصصه القصيرة عام ٢٠٢٣م ضمن كتاب "أصوات معاصرة" لطلاب المستوى المتقدم بجامعة جورجتاون الأميركية. مُنح عام ٢٠٢٥م عضوية جمعية الأدب المهنية.

بحوث ودراسات حول بعض أعماله:

بنية النص وتجليات الهدر الإنساني في رواية طيور العتمة، لحسن أحمامة، المغرب ٢٠١٦م. القضايا الاجتماعية والسياسية في أعمال الأديب السعودي: ماجد سليمان، محمد مجاهد، الهند ٢٠١٧م. تداخل العتبات النصية مع البنية الروائية "ماجد سليمان نموذجاً"، دلال المالكي، السعودية ٢٠١٩م. دلالة المكان بين الانفتاح والانغلاق في رواية طيور العتمة لماجد سليمان، توينخ فاطمة، الجزائر ٢٠٢١م. جماليات القبح في رواية طيور العتمة لماجد سليمان، البندي المطيري، السعودية ٢٠٢٣م. الزمن في القصة السعودية القصيرة "ماجد سليمان نموذجاً"، عفراء الحربي، السعودية ٢٠٢٢م. الأنساق الثقافية في المسرح السعودي المعاصر مسرحية وليمة لذئاب شرهة لماجد سليمان نموذجاً، أحمد الزهراني، السعودية ٢٠٢٣م.

ماجد سليمان

Majed suleiman

المَلَهَاءُ النَّجْدِيَّةُ

ما دَبَّجُهُ الْأَعَشَى قُبَيْلَ مَوْتِهِ

الملهاة النجدية، ما دبجه الأعشى قبيل موته

ماجد سليمان (السعودية)

Majed suleiman

تصنيف الكتاب: نثر أدبي مُعاصر

عدد الصفحات: ١٧٨

القياس: ١٤ × ٢١ سم

تصميم الغلاف والإشراف الفني: ماجد سليمان

الناشر: نشر ذاتي

تاريخ الإصدار: ٢٠٢٦م

لغة الكتاب: العربية

© ماجد سليمان ، ١٤٤٧هـ

سليمان ، ماجد

الملهاة النجدية: ما دبجه الأعشى قبيل موته. / سليمان ، ماجد .-

الخرج ، ١٤٤٧هـ

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع: ١٦٤٩١ / ١٤٤٧

ردمك: ٦ - ٥٤٢٤ - ٠٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨

عنوان الكاتب

majedsuleimann@gmail.com

"واللَّهُوُ: . . . { لاهيةً قلوبهم } أي مُتشاغلة . . . ومنه قوله تعالى:
{ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى } أي تتشاغل"

لسان العرب

"ولشرفِ النثر قال الله تعالى في التنزيل { إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا
مَنْثُورًا } ولم يَقُلْ: لُؤْلُؤًا مَنْظُومًا، ونجوم السماء منتثرة وإن كان
انتشارها على نظام، إلا أن نظامها في حدِّ العقل، وانتشارها في حدِّ
الحِسِّ."

الإمتاع والمؤانسة: الليلة الخامسة والعشرون

تنويه:

كلّ الأشعار التي بين علامتي تنصيص
هي من شعر الأعشى وشعراء آخرين.

I

ما دَبَّجَهُ الْأَعَشَى قُبَيْلَ مَوْتِهِ

كُرَّاس (أ)

"وما أرى في المعمور أرضاً أفسح بسيطاً، ولا أوسع أنفاً، ولا أطيّب نسيماً، ولا أصحّ هواءً، ولا أمدّ استواءً، ولا أصفى جوّاً، ولا أنقى تربة، ولا أنعش للنفوس والأبدان، ولا أحسن اعتدالاً، في كل الأزمان، من أرض نجد، ووصف محاسنها يطول والقول فيها يتّسع" ١

". . . وسمّيت اليمامة باسم امرأة: وهي اليمامة بنت سهم بن طسم، كانت تنزلها إلى أن قتلها عبد كلال ٢ وصلبها على بابها فسمّيت بها، سمّاها بذلك تبّع الآخر" ٣

١ رحلة ابن جبير.

٢ هو: عبد كلال بن مثنّب بن ذي حرث بن الحارث بن مالك بن غيدان بن حجر بن ذي رعين، بعثه تبّع على مقدمته إلى طسم وجديس. انظر جمرة أنساب العرب (ص ٤٣٣).

٣ صبح الأعشى ج ٥ - ص ٥٥.

كُرَّاس (ب)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا علي بن سليمان النوفلي قال حدّثنا أبي قال: أتيت اليمامة والياً عليها، فمررت بمنفوحة وهي منزل الأعشى التي يقول فيها:

"بشطّ منفوحة فالحاجر"

فقلت: أهذه قرية الأعشى؟ قالوا نعم . فقلت: أين منزله؟ قالوا: ذلك، وأشأوا إليه . قلت: فأين قبره؟ قالوا: بفناء بيته . فعدلت إليه بالجيش فانتهيت إلى قبره فإذا هو رطب . فقلت: مالي أراه رطباً؟ فقالوا: إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار إليه القدح صبّوه عليه. ١.

١ الأغاني للأصفهاني، ج٩، ص ٩٤ - دار صادر، ط ٢٠١٣م.

فاتحة

"فَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةَ وَاشْمَخَرَّتْ

كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصَلَّتِينَا،"

أَحْدَاثُهَا

نَهْرٌ عَلَى جِلْدِ الزَّمَنِ

تَخِيطُ لِيَالِيهَا

عَلَى رَمْلِ حَيْرَتِهَا

وَنَعَاسُ أَيَّامِهَا

يَنْحَتُ تَمَاثِيلِهَا

يَغْزِلُ أَحْلَامِهَا.

النَّجْدِيَّاتِ

تَسْرِبُلْنَ بِالْعَشَقِ

شَهِيْقِ سَطْوَحِهِنَّ

يُطَيِّرُه غِنَاءُ فَتَيِّ
يُنْشِرُنْ شَعُورَهِنَّ
عَلَى إِيقَاعِهِ السَّخِيَّ
يَكْسِينُ بَسَاتِينَ الْيَمَامَةِ
أُرْدِيَةِ النَّهَارِ
وَيُيَلِّلُنِ السَّهْرَ بِالْحَرِيَّةِ
وَيُحَلِّنُ الشُّوقَ شَمْساً فِي يَدِ الرَّبِيعِ.

١ بيت من معلقة عمرو بن كلثوم، العارض: أو طويق، جبل في قلب إقليم اليمامة التاريخي،
يمتد لما يقارب ١٠٠٠ كيلو، على شكل قوس يتجه طرفاه نحو الغرب.
اشمخرت: ارتفعت. مصلتينا: المصلى الشاهر سيفه.

الرقّ الأوّل:

ليل أزقة منضوحة

I

للأيام رنينها
للأفئدة أنينها
عُشّاقٌ يتقاطرون على دُور الخليلات
ربطوا خيولهم عند جذوع الوهن العريض
ترجّلوا حفاةً سائرين إليهنّ
يطؤون نعناع الرّمل
المُفضي إلى دفء مخادعنّ
حسانٌ كزهور الحقول.

II

كعجوزٍ ماتت مُتَّكئة
تركت منفوحة ١
من هجعتهم الدُّنيا بفراق أحبة
طار غرابٌ من نافذة الأمس
فardاً جناحين أحلك من قلب الجوع
اعتصرت يدي مقابض الأبواب الأولى
وانهلت على ظلال أمسي لأكسره
فوجدت طرفي ساهراً
في سرداب الزلّل.

١ منفوحة: قرية نجدية مشهورة من نواحي اليمامة.

III

من هَا هُنَا

غرست منفوحة شوكتها في جلد الضحى
أوكأت قربها على رفّ السّهر
حفرت حوافرها الأرض
وُقُوفاً في وجه التّوائب.

من هَا هُنَا

حرّكتُ حزن مهراسي ١
بعد أن نقرت أصابع غيمها
هوادج من مضوا.

١ المهراس: حجر منقور يسع كثيراً من الماء.

IV

لا تُولد في اليمامة فتاةً

من دون حبيب

يُهدِيها قرطين ذهبيين

يطلبها

عند شفير حنيفة ١:

أنا وأنتِ

وَعَلينِ أَغفرينِ

ناعسة طرقاتنا بريحانها

تُعَدُّ الحرير لوليدنا المرتقب.

١ وادي حنيفة: نسبة إلى قبيلة بني حنيفة التي سكنت فيه قبل الإسلام، يمتد مسافة

١٢٠ كيلو في وسط نجد من الشمال مائلاً قليلاً إلى الشرق.

V

أزقتها

منابت النّوازع الأولى

وما أصابني النّسيان بحمّاه

فداء الذّكريات راتعُ في دمي

هواجس البدء

الأقدام التي عثرت في خطوات لقاءٍ بارق

ملامح الوجوه العابرة:

شعّناء

ظمّاء

خرجت تُلبّي الأمنيات.

VI

من شقوق الطّين
مدّت الصّور رأسها
من التّوافذ طُحنت الحكايات
تُطلّ الأعين النّاعسة
أسئلتها تُعسّ خرائط الأمس البعيد
عن صباح
تغرغر بأغانٍ عذاب
عن ظهيرة
بفاكهة الزّائرات
عن مساءٍ
سّتر الأنفس المنصهرة.

VII

النَّجْدِيَّاتِ مِنْ نَوَافِذِهِنَّ
يُرْمِيْنَ رَأْسَ التَّارِيخِ بِرُقَاعِهِنَّ
يَبْقُرْنَ بَطْنَهُ الزَّائِدَةَ
بِخَنَاجِرِ عَطِرَةٍ
مِنْ دَمِ السَّنِينِ
يُدَبِّجْنَ عَلَى حَائِطِهِ الْمَجْدُورِ:
كُلُّ نَجْدِيٍّ بِمَا رَغِبَ عِنْدِ
فَاتَرَكَهَا لَنَا آثَارَنَا الْبَاقِيَةَ.

VIII

أماكن

عليها يطوف قمر الطفولة

نجدِيُّ يُنادي:

منفوحة

منفوحة

منفوحة

أترعي كأسِي بخرم الجنون

إزرعي جذب قاعي بزخّات الهوى

أذكريني لسوق حَجْرٍ ١ وناده:

"وقلتُ لِعَرّاف اليمامةِ داوِني

فإِنَّكَ إنْ أبرأتني لطيبُ ٢"

١ حَجْرٌ: بفتح الحاء وجيم ساكنة، عاصمة البلاد النجدية، وأمّ قراها - مدينة الرياض حالياً - محطة رئيسة على درب القوافل المتنقلة بين أقاليم الجزيرة العربية في تلك العهود، وحَجْرٌ من الأسواق التي يقصدها العرب للبيع والشراء وإلقاء القصائد. ذكر الأصفهاني في كتاب بلاد العرب: "حَجْرٌ سرّة اليمامة، وهي منزل السلطان والجماعة". ٢ البيت لعروة بن حزام.

IX

في ممرّاتها الدّافئة
لأطفي نسيماً باردٌ عليل
امتزج بضحك فتياتٍ يعبرن إلى بتيل حَجْرٍ ١
وهفهفة الصّور العتيقة لا تفارقني
تذرّ طحين الذّكريات
فأشرق في ملامحهنّ الباقية
كفراشات هَوَيْن في نار الشّتاء
ليتركني
أشمّ قدري في شفيف قمصانهنّ
وصورهنّ يعبرن قناطر الثّرمليّة ٢.

١ بتيل حَجْر: من حصون اليمامة.

٢ الثّرمليّة: من حصون اليمامة.

X

طاردني الندم وسكن دمي

امتصّ عافيتي

كأنّي شُطرت نصفين

أو اقتادني الموت

أطوف الدروب

لتحكي عن خطوات الرّاجلين

العابرين على تراب هاتيك السنين

عن قلوبٍ تقبض لون حكمتها

ونحن شاردون في أخاديد الزّمن.

XI

إلى فراشي
تدفق ظلام ليالي
جلب مع سواده أفسى ذكرياتي
بدوت أكثر عجزاً
أقلّ صبراً
أجلتُ في أزقتها بصري الأعشى
كأني قريبٌ من الموت
الحاضر بعد سهم الفوت.

XII

أمس
كسّر الصّبح تاجه
وطاشت على فضّة الطّين
شُدور شمسٍ راودت مِهْرَاسِي
نَزقت رُوحِي السّكْرِي
لاهتةً في ليلِ أزقة الحي
فدُبح على صخرة الزّمن
رسولٌ جاء في رهط الدّجى
فسال الحائر ١
بدمِ قانٍ لا يُرى.

١ الحائر: واد قريب من منفوحة.

صَوْتُ أَبِي لَيْلَى الْمَهْلَلِ

لَمْ أَنْمَ فِي غَيْرِ نَجْدٍ

لَمْ أَنْمَ عَنْ صَوْتِهَا

لَمْ أَكُنْ مُسْتَعْجِلاً ثَأْرِي

وَلَا مُتَبَاطِئاً

أَقْرَبَ مِنْ دَمِي هِيَ

وَمِنْ نَارِ دَمْعِي وَصَلْهَا

نَجْدَ الْخَلِيلَةِ فِي زَمَانٍ رَاكُضٍ

عَلَى صَخُورِ الْوَعْدِ

سَاكِناً عَلَى رَمْلِ الْلِّقَاءِ:

"فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ ١ طَالَ لَيْلِي

فَقَدْ أَبْكَى مِنْ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ"

١ الذَّنَائِبُ: هَضَابٌ وَمُورِدُ مَاءٍ، فِيهَا طَعْنُ جَسَاسٍ كَلْبِيًّا، تَقَعُ غَرْبَ إِقْلِيمِ نَجْدِ، قَرِبَ مَدِينَةِ

عَفِيفٍ. الْبَيْتُ لِأَبِي لَيْلَى الْمَهْلَلِ.

صَوْتٌ آخِرٌ

"سقى الله نجداً والمقيم بأرضه

سحاب غوادٍ خاليات من الرعدِ"

مطرٌ مُتكاسل

ضبابٌ طائش

يخلطان الأغصان بأغاني الهضاب

وأصابع الأرواح

تجذب خيوط الأنس

على أكتاف الجبل.

الرّقّ الثّاني:

فتيان الحيّ أخبروني همسا

I

فتيان منفوحة

يخرجون من رمال الضّوء

يُذبيون حيطان العتمة

يلحقون الموت

على أفراسٍ أسرجها النّهار

على جبين التّراب

يُغنّون

حولهم كواكب القيان

يُوقظون الحيّ على ارتعاشات الغرام.

II

أخبروني هَمَسَا
أنيّ شَبِحُ
توغّل في أمعاء اللّيل
أدلج مُتوكِّئاً على خيبته ما دون الأخيرة
مُهرولاً خلف مراكب النّزوات
شاعراً بلغط الملوّك
يجلس حاسر الرّأس
يحكّ أعواداً
بأعواد.

III

تقول صاحبتهـم:

رَطْبُ قَبْرِهِ فِتْنَادُمُوا

مَجْلِسٌ كَأَحْدِكُمْ اجْعَلُوهُ

يَوْمَ تَشْتَهُونَ الْمَوْتَ بَعْدَهُ

أُخْرِجُوا إِلَيْهِ إِنْ عَزَمْتُمْ تَشْرَبُونَ

لَا تَرْهَبُوا

مُنَادِمِينَ مِنْ مَالَتِ هُوَادِجَهُنَّ إِلَى حَيَّهِ.

IV

قال فتىّ:

خُلقتُ

ومنفوحة غصني

وأنا طائرها الحزين

ما ابتلت يداي وضلاً قبلها

فرشتُ بساط دمي دونها

لتعود باسمه مُهجتني في الصّباح

فأقمتُ زجاجة الرّوح عندها

بعد ليلٍ ضاحكٍ طويل.

V

كَتِفُ الأَرْضِ مَهْرُوشِ

فَتَى مِنْهُمْ

يَقْرَأُ مِنْ رِقِّ الأَفْقِ

مِزَقِ أساطيرِ خاملةِ

يُضِيءُ مصباحه المائعِ

يَطُوفُ نجداً راجلاً

ويخطف منها جُرحها

ليرسم في رِقِّه حَيرتها:

"فلَمَّا أتت آطامِ جَوِّ ١ وأهله

أنِيخت وألقت رحلها بفنائك ٢"

١ جَوِّ اليمامة: أو الخِضْرَمَة، بكسر الخاء والراء، وهي مواطن قبيلة جديس في نجد.

٢ البيت للأعشى.

VI

فتىّ نجديّ

نزل العراء من سقف الشّهاب

ونادى:

لا اسم لي غير فعالي

غرّبي / أرضي

قصيدي / حربتي

تلمع في نعاس القوم.

VII

شَهَقَ الْفَتَى:

مُدَّ جَفَّ حَبْرَ صَحِيفَتِي

وَطَوَى مَا ضَاعَ مِنْ أَسْرَارِهَا

تَوَزَّعَ الْفَتِيَانِ صَمْتِي

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ

فَجِيءَ بِي مَحْمُولًا عَلَى نَعَشِ الْغَضَى.

قَالَ الْفَتَى:

مُتْنَا مَعًا

شَقْرَاؤُكَ الْكَأْسَ الْعَمِيقَةَ

غَرَبَةٌ لَأَكْتُ مَلَامَحْنَا الْعِرَاضَ.

VIII

ذريعة الفتیان

مثل الرّمل يُصغي للمطر

ألقِ عصاك

فذاك قبرك

مُلتقى الثّملین يوم موتك

إبسط لنا شعراً تغازله الحناجر

رجفةً نلهو بها

وهُريرةٌ

تحنو على ما أنت فيه.

صَوْتُ عَنْتَرَةِ الْعَبْسِيِّ

أشباحُ تخبئُ في ثيابِ غُرباءِ

سأولِمَ لذئابِ نجدِ

غُرباءِ قتلى

وأصنعُ أقواسِ نصري

على جثثِ الغزاةِ

وخذها عبلة

أمست تبختر في ممرّاتِ الهيامِ

تُلوّح بوشاحها اللّيلكيّ

وخذها يُضيء:

"يا دارَ عبلةَ بالجِواءِ ١ تكلمّي"

١ عيون الجواء: بلدة تقع شمال إقليم نجد (القصيم حالياً). الشطر من معلقة عنتره.

صَوْتُ أَبِي زَيْدِ الْهَلَالِيِّ

نَجْدِيَّات

يَتْبَاهِينَ عَلَى خَارِطَةِ الْأَبْدِيَّةِ

فَرَرْنَ مِنَ الْمَطَرِ

تُطَارِدُهُنَّ عَطُورُ الْغَرَامِ

وَتَوَارِينَ وَرَاءَ جِدْرَانِ الزَّهْرِ

هَرُوبًا مِنْ طَيُورِ الضَّبَابِ

يُغْرَقْنَ فِي رَقْصِ فَتَى

حَيْثُ أَظْلَافُ ظَبَاءِ حَنِيفَةِ

تَخْبِطُ الْأَدِيمَ نَشْوَةً

وَيُرْسِمْنَ خَارِطَةَ الْأَبْدِيَّةِ.

الرّقّ الثّالث:

يبيعون الخمر والمذهب

I

في طريقي الخامل بالهجير
تخرج الحيرة ١
كخزانة الحظوظ المؤجلة إلى حاناتها
تندفع الأرواح
كصخور الأنهار
كالهاربين من سياط الجُباة
أرى نقط دم السّبّابتين
يتداولها الغلمان كالألغاز.

١ الحيرة: بكسر الحاء، وياء ساكنة، تقع جنوب وسط العراق (عاصمة المناذرة).

II

لاحت أسوارها
رسائل ممهورةً باسم عشاقها
يبيعون الخمر والمذهب
وساحة السكر
حقلين محروثين
عليّ زرع النشوة في لهفة طينها
فصولٌ من لحونٍ عتاق
تعصرها أكفّ الجميلات.

III

سامرتُ حاناتها
ردحاً من الشوق
أطلت في طرقاتها
راوياً حكاية كأسى الأولى
وقبضت من رمل الغرام
ما يُعين على السهر
تأخذني أشجارها بعيداً
واقفةً بي على شفير السحاب.

IV

نواقيس كنائسهم لاهية
يوم صقلوا صحائف مهجتي
شهودهم عند باب الصّحراء
بنو في حُجرات بيتي أنجماً
ومحوا من طرس صمّتي سمراء حيرتي
جنون قنديلي
نديمي
راحلة سفري
حكمتي.

V

فُجِعَت الأَرْضُ
مِنَ وَقْعِ نَعْلِي عَائِداً:
أَيُّهَذَا الرَّجُلِ
خَفَّفَ الوَطءُ
خَطَاكَ لا تَمسَحُ عذابَ الموتى
أَشْفَقَ عَلَيْهِمِ
إِبْكَهْمِ
وَأَزَّيْهِمِ بِالمَسْتَطاعِ.

صَوْتُ امْرِئِ الْقَيْسِ

سُرَاةٌ

يَتَمَرَّغُونَ عَمْرًا

عَلَى هَضَابٍ تَتَلَعَّمُ بِشَجُونِهِمْ

أَجْدَادِهِمْ

يَتَفَحَّصُونَ صَوْتَ الْغَرَامِ

فِي مَسَالِكِ الْجُرُوحِ

نَجْدِيَّاتٌ، يُغْنَيْنِ عَلِيَّ مَشَارِفِ الْفَاوِ ١:

يَا مَقْبَلِينَ عَلِيَّ نَجْدٍ

هَاتُوا مِفَاتِنَهَا جَوَارِ الْقَمَرِ

زَقُّوْهَا إِلَى بِيوتِ السَّهْرِ:

"بَسْقَطِ اللَّوِيَّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ ٢"

١ الفاو: عاصمة مملكة كندة الأولى أحد الممالك العربية القديمة إقليم نجد.

٢ الدخول وحومل: جبال تقع جنوب إقليم نجد، وبينهما وادي اللوى. شطر لامرئ القيس.

صَوْتٌ آخِرٌ

سَوِّينَا الطَّرِيقَ إِلَيْهَا

غَزَاةً نَفْتَحُ سُبُلَ الْخَشْيَةِ

وَنُعِدُّ مَوَائِدَ الْخَوْفِ

لَنَا نَصَالَ الْحُلَفَاءِ

وَالْغَدَاةَ الْمَرَاوِعَةَ:

"وَبَعَثْنَا إِلَى الْيَمَامَةِ جَيْشًا

وَجَعَلْنَا الْخَرْجَ ١ مَنْزِلَ قَيْسِ ٢"

١ جاء في معجم اليمامة، لـ عبدالله بن خميس:

ومنطقة الخرج أخصب إقليم في اليمامة، وأوسعها رقعةً، وأكثرها ماءً، وأشهرها إنتاجاً. تلتقي فيها أودية عظام من أكبر أودية العارض وأبعدها مدى.

٢ بيت لأبي كرب الأوسط.

كُرَّاس (ج)

"نجد: بفتح أوله، وسكون ثانيه، والنَّجد قفاف الأرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف، والجماعة النجاد" ١

"أهل اليمامة كانوا يقولون: غلبنا أهل الأرض شرقها وغربها بخمس خصال: ليس في الدنيا أحسن ألواناً من نسائنا، ولا أطيب طعاماً من حنطتنا، ولا أشدّ حلاوة من تمرنا، ولا أطيب مضغّة من لحمنا، ولا أعذب من مائنا" ٢

١ معجم البلدان للهمداني.

٢ معجم البلدان للهمداني.

كُرَّاس (د)

"اليمامة ناحية بين الحجاز واليمن، أحسن بلاد الله وأكثرها خيراً
ونخلاً وشجراً. كانت في قديم الزمان منازل طسم وجديس" ١

"أما مواطن طسم، فكانت اليمامة، وعند بعضهم الأحقاف والبحرين، وقد
زعم الأخباريون أن طسماً وجديساً سكنتا اليمامة معاً، وهي إذ ذاك من
أخصب البلاد وأعمرها" ٢

١ آثار البلاد وأخبار العباد للقرظيني.

٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لـ جواد علي، ج ١/ ص ٣٣٥ الطبعة ١٩٩٣/٢ م.

الرَّقَّ الرَّابِع:

نساء الساعات الأولى

I

نسوَةٌ يَغْزُلْنَ دَمْعِي
فِي مَخَابِيءِ اللَّبْكَاءِ الْمُسْتَعْرِ
لَمْ أَلْعَنِ الْحَرَمَانَ فِي أَثْوَابِهِنَّ
وَلَمْ أَغْبُ عَنْ مَخَادِعِهِنَّ
أَلْفِينِي يُوسِفِهِنَّ
أَذْرَ عَبَقِ اللَّهْفَةِ عِنْدَ أَبْوَابِهِنَّ
صَنَعْنَ لِلنَّسِيانِ كَوَّةً قَمْرِيَّةً
رَأَيْتِهِنَّ ضَحَى
خَرَجْنَ مِنْ خِيَامِهِنَّ
يَتَحَاشِينَ الشَّمْسَ بِأَيْدِي غَضَاضٍ.

II

أُنَادِيهَا:

مَهْلًا

أَتْرِينِي نَصْفِينَ؟!

وَقَلْبِي شَطْرِينَ؟!

وَفِي ذَاكَرْتِي قَتِيلِينَ؟!

أَتْرِينَ مَنفُوحَةً؟!

وَهِيَ تَسْقُطُ فِي لَهَبِ الصَّهِيلِ؟

وَكَيْفَ مِنْ أَبْوَابِهَا طَارَ سِرْبُ الْغِيَابِ

وَضَاعَ إِيقَاعَ دَمْعِي:

"وَإِنَّ لَنَا دُرْنَآ، فَكُلَّ عَشِيَّةٍ

يُحَطُّ إِلَيْنَا خَمْرُهَا وَخَمِيلُهَا"٢

١ . . . ودُرْنَا، بالنون، باليمامة، . . . وقال الحفصي: دُرْنَا نخيلات لبني قيس بن ثعلبة بها

قبرُ الأعشى. (معجم البلدان، لياقوت الحموي، ج ٢)

- دُرْنَا: ذكروا أنها قرية باليمامة كانت تباع فيها الخمر في الجاهلية.

٢ البيت للأعشى.

(صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ج ١)

III

نادت هُريرة:

أنسيت أم تلهَّيت!؟

بارد الظلّ

لا يُودّع خياله

وعلى رماده

خَطّ أسرار مفاتيحه

إليك زَغَب الرّحيل

يَعنّ في جناح أيّامه.

IV

من قصبيّ روعي
تنفجر الكلمات
أخذ الترنّح من أيّامي حصّته
وأخذت هي نسياني
وسحر مديحي
أنشدت من قبري المظمور بالزّهر:
"قد نهدّ الثّديّ على صدرها
في مشرقٍ ذي صَبَحٍ نائرٍ
لو أسندت ميّتاً إلى نحرها
عاشَ ولم يُنقلَ إلى قابرٍ
حتّى يقولُ النّاسُ ممّا رأوا
يا عجباً للميّتِ النّاشرِ"^١

١ أبيات للأعشى.

V

لِقَاؤِهَا: عَاصِفَةٌ هُوَجَاءُ

قُبُلُهَا: شُهْبٌ عَمِيَاءُ

هَمْسُهَا: لَيْلُ الْإِيَابِ

عِنَاقُهَا: حَدِيدٌ مُذَابٌ

السَّرَابُ

السَّرَابُ

مَذْعُورًا يَرْكُضُ بِي شَبْحِي

أَسْمَعُهَا مِنْ وَرَاءِ الْبُيُوتِ النَّاعِسَةِ

غِنَاءً كَهْفُفَةِ الرَّيشِ:

وَنَجْدِ الْعَذِيَّةِ لِحْنِ الْمَسَاءِ

وَفَاتِنْتِي قَبْلَ حُبِّ النِّسَاءِ

وَصَاحِبَتِي تَحْتَ كُلِّ سَمَاءِ.

VI

أعود إليهنّ

نهار تمرّ هواد جهنّ

أعانقهنّ كعائدٍ من بعيد

أُقبلهنّ بجوارحٍ سابحات

أنام على عنهنّ أسمائهنّ

حين تومض لحاظهنّ في ماء النّوم.

VII

في دفاء خدورهنّ يحكن الوشايات
ينسجن خضر الحكايات
لم أقطف قُبلةً منهنّ بعد
كنت أزوجهنّ لليمام
جميعهنّ

يتطهرن في ملح سهري
يلتقطن قلبي كطيورِ ظامئات
يرتضين لياليّ أعشاش
يلمسن جروحي
فينام الصبرُ على ظهره.

VIII

أدّخر ثمالاتٍ معدودات
بيتي محروسٌ بحلمٍ باسلٍ
مَرَايي مصقولة من كريم الحَجَرِ
أتمائلُ
للانتظار المغسول ببيكاره الشمس
من يصنع من طين قبري حانته؟
ويؤقض بها ليلته
قبل أن تصرخ أجفانه بالبكاء
قبل أن تأخذه أرجوحة الخذلان.

IX

اختطفني إلى فتنة بساتينهنّ
إلى ظلالٍ باردٍ لا ينقطع
غرسن وُرُودهنّ في شقوق الصّخر
عَجَنّ لهفتي في حضرة القمر
ليالٍ أطلقت صَوْت النّخيل
ألهمته اهتزاز الوتر
رسمت أناملها عِنْباً على ظلّ لهفتي
طوّقها قوس قزح
قمرٌ أحمرٌ
تدحرج على دفتر الطّين.

X

عُدُن مساء غدٍ
أرقن الذهب في ظمأ الأوردة
أفعمن قلبي قبل الكؤوس
أترعن روحي قبل وصلِ ضروس
وغادرن فجرًا
خبآن في جيوبهنّ نزواتي القصار
ومسحن على رأس الوعد بأن يجئن:
فَتِيَّات
أبيّات
نديّات.

XI

غزاة الحَيِّ
ترفع قفطانها الأبيض عن نقع الظلام
اقتادت الغيمات من معاصمها
فغار كوكب الفضة
مُنمناً قميصه بالنجوم
معه يركض عطر الغصون
خاطفاً حزنه الكسول
أحتاجُ عشر قلوبٍ لأحبَّ
دُرِّيَّة اللّون:
"كأنّها فضةٌ قد مَسَّها ذهبٌ" ١

١ جاء في معجم البلدان للهمداني:

"فأما قولهم في نسائهم فإنهنّ دريّات الألوان كما قال ذو الرّمة".

صَوْتُ قَيْسِ بْنِ الْمَلُوحِ

أَشَقُّ سَفَرِي أَسْأَلُ عَنْ لَيْلِي:

"وَعَنْ عَلَوِيَّاتِ الرِّيَّاحِ إِلَى جَرْتِ

بَرِيحِ الْخَزَامِيِّ هَلْ تَهَبُّ عَلَيَّ نَجْدِي^١"

أَطَارِدُ نَهَارِي

فِي رَمَادِ الصُّورِ

لَيْلَةَ عَادِ الْحَبِّ أَبْكُمْ

وَلرَّمَالِ نَجْدٍ طَيْفٌ عَائِمٌ

عَلَى ضُلُوعِ الْبَرْدِ

وَأُورَادِ السَّهْرِ

«وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ^٢ حِينَ رَأَيْتُهُ»

صَرَخْتُ فِي أَيَّامِهِ

وَقَلْبِي يَبْذُرُ الشُّوقِ

وَيُكْسِرُ أَلْوَاحَ الْجَوِيِّ.

١ بيت لقيس بن الملوّح

٢ التّوباد: الجبل الذي شهد قصة قيس وليلى، يقع في مدينة الأفلاج جنوب إقليم نجد.

صَوْتٌ آخِرٌ

طَفَقَ النَّجْدِيُّ يُغَيِّي:

"يا حَبَّذا حِينَ تُمَسِّي الرِّيحُ بَارِدَةً

وَادِي أَشْيِي ١ وَفَتِيانٌ بِهِ هُضُمٌ

مُخَدَّمُونَ كَرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ

وَفِي الرِّحَالِ إِذَا صَاحَبْتُهُمْ خَدْمٌ ٢"

يُدَوِّنُونَ أَخْبَارَهُمْ

فِي رِقُومِ الْحَيَاةِ

يَسْتَعِيرُونَ أَحْلَامَهُمْ

فِي شُرُوحِ الْهَوَى

وَفِي دَفَاتِرِ النَّوَى.

١ أشي: واد من وديان اليمامة.

٢ بيتان لزياد بن منقذ.

الرّقّ الخامس:

فجر عارض اليمامة

I

نجديون آفلون
غابت عن جثامينهم الدّموع
أسماؤهم مُتصعلكة
نهارهم بلا رئة
طينُ دروبهم من مطر الأسئلة
نحتوا على جُرح العارض ١
ضحى
أرى أطيافهم تهبط خيوطاً
على فُرش المغيب.

١ العارض: أو طويق، جبل في قلب إقليم اليمامة التاريخي، يمتد لما يقارب ١٠٠٠ كيلو، على شكل قوس يتجه طرفاه نحو الغرب.

II

أهرب من ذكرى
وأندس في أخرى
أطوف على صورٍ مُرتعشة
علقتها على حائط ذاكرتي دهرًا
من خلف نافذتي الجرداء
تُطلّ ناعسة الصّوت القديم
زارعةً خطواتها الصّامته
مُشتعلةً تحت حزن نافذتي
وغناؤها يقطر في شعاب أضلعي.

III

خَلْتَنِي

أَقْطَفُ لَهَا ثَمَارَ مُهْجَتِي

قَبْلَ أَنْ يَعْوِي الْبَرْدُ عَلَى الْجِدْرَانِ

قَبْلَ أَنْ يُرْسَلَ رُسْلُهُ

يَطْرُقُونَ عَلَى غِبَارِ الْأَسْقَفِ وَالْأَبْوَابِ

يُنَادُونَ مِنْ وَرَاءِ النَّوَافِذِ

ظَهِيرَةً وَلَا يَفْتَحُ أَحَدٌ

فِيَجْتَمُونَ كَذَنَابٍ جَائِعَةٍ.

IV

أعودُ إلى هناك
بروحٍ سَكْرِي توشّحت بالنور
بأنفاسٍ
طائفةٍ على ماءٍ لهفتي.

أعودُ بحُلَّةٍ
نَمَمَها سُرورُ اللَّحظةِ الخالدةِ
لأَمْضِي في شقْرِه صَارِخَةٍ
مَشَّطَها فتاةٌ
رافقتني كمراكبِ الأنهار.

V

في منحدر العمر
تكاثف شحوبي في قاع نفسي
يسقط كل مساءً بعضي
أكلم طيفاً لا يرى
لا أُرْجِعُ الأشياء إلى أماكنها
دربي مُتعبٌ
يتساقط عليه مطرٌ كسول
وُجوهٌ من عرفتهم، وعرفتهنّ
تركت ملامحهم مرسومةً
على حيطان الذاكرة
أعاني إخراج صورهم
من ركام صور الآخرين.

VI

مُولع بأحياءٍ قديمة
حاناتها - أزقة الغزل فيها
أعودها
مُدججاً بلهفة الصيف
أخرج إليها
أُخفي في جيبِي وزدة
وفي قلبي نشوة.

بذراعين حميمتين
أشدّ صورها إلى عراء صدري
أثرثر جانب فتيانٍ ثملين
أبني قربهم أعشاش الحنين.

VII

لمنفوحة

عينان شاردتان

في احمرار لسان الصّيف

أعرضت تُرْتَق رَثّ ثيابها.

عصرُ أقام الرّاحلون بيوتهم

في جفون الغروب الفرح

تساوروا حزن الحَجَر

حملوا نارهم كأشباحٍ طوال

واقتلعوا الباقي من أحلام البشر.

VIII

عرصاتُ عاشرها شتاءُ مفترس
هائمٌ في الحائر
حيث تدلّي النهار بملابسٍ رثّة
فرت عفر الظباء
ساعة لوّثها فراق حبيبين.

«لُدُّ بالظلال..»

قال صبيٌّ أعرجٌ
فإذا الخريف يسوق إليها
فؤادي حافيا.

IX

عَرَافَةَ الْيَمَامَةِ
اسْتَحَالَتْ ضَرِيرَةً
مُنْقَبِضَةَ الْوَجْهِ
رَقِيقَةَ الْعِظْمِ ذَاتِ انْحِنَاءِ
أَبَادِ الزَّمَانِ أَيَّامَهَا
امْتَصَّهَا الْهَرَمَ
تَمَلَّصَ كُلِّ مَا عَلَقَ بِذَاكِرَتِهَا
تَصَلَّبَ الْكَلَامَ عَلَى لِسَانِهَا
شَعَرَتْ بِأَصَابِعِ الْمَوْتِ تَلْمَسُ رُوحَهَا.

X

عرّافة اليمامة
راهبة الليالي القلقة
اندسّ الداء سرّاً تحت غطائها
رافقها حتّى أضمر جسدها
جعّد بشرتها
أبهت صوّتها
أبقى سحر شفّتها الدّقيقة
قصر أهدابها الطّويلة
بكت على عمرٍ من العشق الشّفيف
خلسةً تهيات للموت كي يخطفها.

XI

عِرافة اليمامة
كلّ ما مرّت نعوش الموتى
تصرخُ
تشقّ ثوبها
تلطمُ خدّها
تَحُثُّ التراب على رأسها
احتضنت وصادتها المكسوة
بقماشٍ أزرقٍ رديءٍ
تنتظر الموت ليمزق آخر أيّامها.

XII

موتٌ

يفرش رائقته على المشييعين

مطأطئ الرؤوس حزناً

سُجِّي جثمانها

أسفل سقيفة من غلاظ الجذوع

عُطِّي صدرها بأوراق صفراء طويلة

ضربن جاراتها عليهنّ بالسّواد

عصبن رؤوسهنّ بأغطية بيضاء

وندبنها . ندبنها . ندبنها

حملن الأغصان الدّقيقة

وندبنها.

صَوْتُ جَرِيرٍ

سائرٌ

في طريقِ ناعسٍ
أُطارِدُ الشَّمْسَ الَّتِي غَاظَلَهَا الأَمْسُ

عند بابِ الفجرِ

لأنسى خطوتي غائصةً

في طينِ تذكّري

عاشقٌ أيّامه

جئن به من صُلبِ المنامِ

مددنه على غناءٍ تهادى

على حناجرِ رَهْطِ نَجْدِيِّينَ يُنْشِدُونَ:

"لَمِنَ الدِّيَارِ بِرِقَّةِ الرُّوحَانِ

إِذْ لَا نَبِيْعُ زَمَانِنَا بِزَمَانِ ۱"

١ الرُّوحَانُ: بالراء المّشددة المفتوحة، والواو الساكنة، والحاء المفتوحة، فألف، ونون...
جانب من جوانب الخرج مما يلي بلدة (السَّيْح)، شرقية، به برقة مشهورة منذ القدم، ذكرها
جرير في شعره . . . وأرض الروحان لينة جرعاء ذات سلم وثمار ونبت طيب.

معجم اليمامة، عبدالله بن خميس، ج ١، ص ٤٨٤

صَوْتٌ آخِر

النَّجْدِيَّات

يُخَضَّبْنَ اللَّيَالِي الطَّوِيلَةَ

يُسَرِّحْنَ شَعُورَهُنَّ الطَّوِيلَةَ

يُغَنِّينَ:

"قفا ودّعا نجداً ومن حلّ بالحمى

وقلّ لنجد عندنا أن يودّعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الرّبا

وما أحسن المصطاف والمتربعا^١"

حينها شمس الرّبيع

تتلاّأ على صدورهنّ

تنثر فُصوص الذهب

فيتركني بين الجنون والتّعب.

١ بيتان للصمّة القشيري.

الرَّقَّ الأخير:

حداً في رئة الدهناء^١

I

عراءٌ عريض

يسبح شرق هراميت^٢

استلبت ماء بصري

عُقبانٌ تشدّ لحوم القتلى

دونها كلاب تتهارش

تنازع الأعضاء البشرية

هضابٌ تتقيأ حزناً

مُغطّاة بالجثث

رجالٌ نزل بهم الموت بلا ترؤ.

١ الدهناء: صحراء متخذة شكل قوس تمثل شريطاً رملياً ضيقاً.

٢ هراميت: آبار مجتمعة بناحية الدهناء.

II

غُلَاةٌ يَعْرَجُونَ
قُسَاةٌ يَتَلْعَثُونَ
رُؤَاةٌ عَلَى مَا نَحْلُوهُ يَتَعَكِّزُونَ
غُرَاةٌ بِالتَّارِ يَهْذِرُونَ
جُبَاةٌ بِسَيَاطِهِمْ يَطُوفُونَ الْبِلَادَ.

السُّقَاةُ . السُّقَاةُ . السُّقَاةُ
يَخْفِقُونَ الْقِنَانِي خَفَقَ الْجَنَاحُ
تَحْفَهُمْ شَمْسٌ تُشِيرُ بِحَمْرَةٍ دَاكِنَةٍ
وَيُغْنُونَ:

"يَمْرُونَ بِاللَّهْنِ خِفَافاً عِيَابَهُمْ" ١

١ شطر من بيت شعر للأحوص الأنصاري.

III

أحمل تسعاً وخمسين عاماً
سأل تطارده طيوف الماضي
تُسعر الظهيرة نارها
على رؤوس أضجرتها خفافيش الظنون
تراءى طيفان رماديان
فأوكأتُ إنائي وجلاً
وغبتُ في خدرٍ لذيذ
مُترنم الفؤاد على نداء النجديات.

IV

في مدخل الحيّ
أرى أيّاماً عالقةً
أقرأ وجوه عابرين عجولين
أُحصيهم لشتاءٍ قادم:
« أين وقع منّي حظّي؟!... »

يُفَلتُ سُؤالي كجرسٍ يقرع في العتمة
فأُغنيّ:

"فقلْتُ للشُّرْبِ في دُرُنّا وقد ثَمِلُوا

شِيمُوا، وكيف يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ؟" ١

١ دُرُنّا: ذكروا أنها قرية باليمامة كانت تباع فيها الخمر في الجاهلية - البيت للأعشى.

صَوْتُ هَوْدَةَ ذِي التَّاجِ

قطرة رملٍ
هاتها الوَهْلة الأولى
وَضَعَ تيجان المُلْكِ
تاجاً تاجاً
على جسْر الوَهْلة الأولى
راقبها أقمار العُدوبة
وأَسْمعها
ما خَطَّه الأوَّلون
في الصَّحف الأولى
واذكرهُ تاجي:

"له أكاليلُ بالياقوتِ زيِّنها

صوّاغها لا ترى عيباً ولا طبعاً"

- هودّة بن علي الحنفي: من ملوك اليمامة في نجد، وأول من لبس التاج عند العرب، شاعر بني حنيفة وخطيبهم، كان يسكن مع قومه جو اليمامة (مدينة السّيح حالياً)، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إليه يدعوهُ إلى الإسلام كما كتب إلى الملوك.
١ البيت للأعشى.

صَوْتُ ثَمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ

داري اليمامة

يَخْبُّ إِلَيْهَا جَوَادِي

أَغَانِ

أُمُّ بَالٍ طُرُوبِ

أُمُّ نَشْوَةٍ تُسْرِي فِي دَمِي

بِأَثْوَابِ لَيْلِي

أُقِيمُ خِيْمَةَ السَّهْرِ

لَا تَعْبُ وَلَا ضَجْرُ

تُصْغِي إِلَيَّ النَّارُ فِي حَطْبِي.

ثمامة بن أثال: من أمراء بني حنيفة في نجد، وأول معتمر في الإسلام، كان يسكن مع قومه حجر اليمامة (مدينة الرياض حالياً).

صَوْتُ زُرْقَاءِ الْيَمَامَةِ

حيثما

هبت نشوةٌ

من أرض نجدٍ

نادت الأرواح:

خُذِينَا.



"إذا ارتحلت نحو اليمامةِ رفقةً

دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكرِ

ألا هل لشيخٍ وابن ستّين حجّةً

بكي طرباً نحو اليمامة من عذرا^١"

زرقاء اليمامة: كانت تسكن مع قومها جوّ اليمامة (مدينة السّيح حالياً).

١ البيتان لـ يحيى بن طالب الحنفي.

II

الألواح النّجديّة

كُرَّاس (أ)

[يوم وادي نساح]

قال أبو عمرو: فأما ما فخر به النابغة من الأيام، فمنها يوم علقمة الجعفي، فإنه غدا في مذحج ومعه زهير الجعفي، فأتى بني عقيل بن كعب فأغار عليهم، وفي بني عقيل بطون من سليم يقال هم بنو بجلة، فأصاب سبياً وإبلاً كثيرة، ثم انصرف راجعاً بما أصاب، فاتبعه بنو كعب، ولم يلحق به من بني عقيل إلا عقال بن خويلد بن عامر بن عقيل، فجعل يأخذ أبعاد إبل الجعفيين فيبول عليها حتى يندبها، ثم يلحق ببني كعب فيقول: إيه فدى لكم أبواي، قد لحقتم القوم؛ حتى وردوا عليهم النخيل في يوم قائل، ورأس زهير في حجر جارية من سليم من بني بجلة سبأها يومئذ وهي تفلية، وهو متوسد قطيفة حمراء وهي تضفر سعفاته - أي أعلى رأسه - بهذب القطيفة، فلم يشعروا إلا بالنخيل؛ فكان أول من لحق زهيراً ابن النهضة، فضرب وجه زهير بقوسه حتى كسر أنفه، ثم لحقه عقال بن خويلد، فبعج بطنه، فسال من بطنه برير وحلب، والبرير: ثمر الأراك . والحلب: لبن كان قد اصطبحة . فذلك يوم يقول أبو حرب أخو عقال بن خويلد: والله لا أصطبح لبناً حتى آمن من الصباح ١ . قال: وهذا اليوم هو يوم وادي نساح وهو باليمامة ٢ .

١ الصباح: الغارة في الصباح.

٢ الأغاني للأصفهاني، ج ٥ - ص ١٤ دار صادر ط ٢٠١٣ م.

ورقة منزوعة من التاريخ النجدي

صوتٌ يقرأ من رقعةٍ رطبة:

ظلّ غيمةٍ يشهق في ممرّات حَجْرٍ

لها رائحة القوافل

ودويّ سنايك الجياد

يقرع أبواب الأفق

لذئابٍ تتعارك في المنحدرات.

حَجْرٌ تُغريني وأُغريها

تسكن في زمنٍ امتلأت رثته بعطور التاريخ

تُهرول حصونها لتجلس على مدار الدّنيا

أوديتها تهدر ملهمةً استدارة الأرض

ممالك تنشر ألواحها للصّحراء

ويصعد أمراء نجدٍ على سروج الرّيح

لأيّامٍ يبسطن أيديهنّ لملوك اليمامة

يَروين عن عبيد:

"...ركب فرسه وأردف الغلام خلفه، وأخذ
رمحه حتى أتى حجراً فلما رآها لم يحل
عنها، وعرف أنها أرض لها شأن، فوضع
رمحه في الأرض ثم دفع الفرس، واحتجز
ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة، وسماها حجراً،
وكانت تسمى اليمامة" ٢

صَوْتان مُنتصران:

- لمن اليمامة اليوم؟

- لعبيد بن ثعلبة الحنفي.

١ حجر اليمامة: بفتح الحاء وجيم ساكنة، عاصمة البلاد النجدية، وأمّ قراها - مدينة الرياض حالياً - محطة رئيسة على درب القوافل المتنقلة بين أقاليم الجزيرة العربية في تلك العهود. ذكر الأصفهاني في كتاب بلاد العرب: "حجر سرّة اليمامة، وهي منزل السلطان والجماعة".
٢ معجم البلدان ج ٢، ص ٢٢١ - دار صادر.

النَّجْدِيّ الْكَبِير - النَّجْدِيّ الصَّغِير

أ - النَّجْدِيّ الْكَبِير

هكذا نجد مذ عرفتها
من حينها وأحلامي تنمو في ذرّات رملها
على قسّمات مدنّها
تلمع سطور الغرام
الحادي في دروبها
يُلَوّن صوته بغناءٍ سخّيّ
فُتْصغي إليه ملاحمّ
تتوضّأ من ماء أوديتها
تتألأ على صخور جبالها
مكسّرةً فخّار النّعاس
على سهول السّهر
مُطَيّرةً أقفال الشّدائد

مُستبيحةً عميق صناديقها

تَصُفّ أحزاناً مذبوحة

تُكْرَم ضيوفاً بلا سيوف

هنا

بين السّير، والسّرى، والأمل

تُقيم الأمانيّ

احتفالاتها الليليّة الصّاخبة

تحت غصون السّلام.

ب - النَّجْدِي الصَّغِير

1

حين أدركنا أغانينا القديمة
وَقَفْنَا عَلَى شُرْفَةِ الْفَجْرِ نُغَيِّ.

2

حين اتَّسَعَتْ حُدُودَ الظَّلَامِ
تَطَاوَلَتْ جُدْرَانُ شَمُوسِنَا.

3

حين أَعْرَانَا السَّرَى وَأَسْكُرْنَا الْهِيَامِ
اِغْتَبَقْنَا قَهْوَتَنَا عَلَى تَنْهِيدَةِ أَيَّامِنَا.

4

حين تَهَيَّأَتْ مَوَاكِبُ الرِّغْبَاتِ
لَمَسْنَا نُدُوبَهَا بَعْرَقَ أَصَابِعِنَا.

5

حين تدلّت على أبوابنا ثمار الغمار
تركنا الحياة مزدحمةً بأعراسنا.

6

حين نعست الصّحراء
رسخت فُرشنا على هوادجها.

7

حين عَوّت على أسفارنا الفجائع
جلبنا قوارير مترعةً بشراب الصّابرين.

8

حين ضربتنا الحتوف على أيدينا
عَدَوْنَا بلهفةٍ إلى رفوف السّحاب.

9

حين دفع الحظّ رأسه الكبيرة في حنجرة الوقت
عدنا شاهرين جسارتنا الفتية.

النَّجْدِيّ الآتِي

حكى النَّجْدِيّ:

تاجر حنطةٍ هي مهنتي

في طريق القفول

غرس الفتيان عِظتي على رابية

سوق حَجْرٍ ناعسة

أبواب حوانيتها تتشاءب

قد لا أرى باعةً يهدرون بالأرباح

ولا هسيس عرباتٍ تجرّها حُمُر الإبل

ليست دمة القمر

ما أراه يتساقط لزجاً على جفاف الأكف

السَّماء مُحمّرةٌ فوق الأديم

الحسناوات يتضحكن قرب المتاجر

النّوافذ تُثرثر تحت ضوء نجمٍ عليل
والصّيف يُحدّث الصّخور بصوتٍ يائسٍ
على الهضاب يخيط الزّمن حرّيته
ليست العتمة ما يُراق على مداخل الكهوف
ما برحت السّوق شاخصةً كعابدٍ قديمٍ
سيغافلها الشّتاء وتُوقظها المواعيد
في منتصف أحاديث ناسها
مَرَق الموت كسبعٍ عانده الجوع.

١ سوق حجر اليمامة: من أسواق العرب في نجد، ومدينة حجر (مدينة الرياض حالياً).

أحد عشر ليلاً لليمامة

1

ليلٌ كشهبٍ
تسرح في فضاء الزمن.

2

ليلٌ يحصد البرد
له لون أكفّ النّجديين.

3

ليلٌ يسقي بساتين السّهاد
من ماء السّحر.

4

ليلٌ يُكوّن جراحاً
ويربط أعناق أخرى.

5

ليلٌ يُصغي إلى غمغماتٍ خفيّة
تُعمل سيوفها في جثّة الأمل.

6

ليلٌ يمتشق سلاح الخريف
ويطوف على الرّعاة.

7

ليلٌ يُثرثر مع أعمدة الطّين
المائلة على نثار القبور.

8

ليلٌ يُبرئ حلّكته
ويتّهم الفصول.

9

ليلٌ كضوءٍ يخبئ وراء الهضاب.

10

ليلٌ تنزف جهاته بين عينين شاردتين.

11

ليلٌ يهبط كالظلٍّ من بين جريد النخيل.

المقامة النجدية

رَوَى رَحْمَهُ اللهُ:

بعد أن ابتسمت في السماء نجوم الثريا، وزرّفت قطعان الإبل في المرعى عشياً . كنتُ وصاحبي قُرب وادي حنيفة ١، تملؤنا انتعاشات شفيفة . حينها أحكمت جبل دلوي، وقصدت لهوي وسلوي . وخرجتُ وصاحبي ضحى الأحد، وصبا نجدٍ يُغذي مشاعرنا بالسَّعد . فَسِرْنَا إلى سوق حَجْر ٢، وبصدورنا لهفة كالجمر . وكلانا على مهلٍ يسير، في جوٍّ صافٍ مُثير . علينا عمائم صفراء، وحدود نقوشها بيضاء . نعتمر عقالين مُقَصِّبين، أضلاعهما رباعيّة زاهيين . ومشالح بُنيّة، أطرافها زخارف ذهبيّة . ومن تحتها ثياب بيضاء واسعة، وعلى صدورنا أحزمة سود ناصعة . فنحن صاحبان قدامى، على الخير والشر ندامى . مضينا نغني سوياً، لحناً جديداً ندياً . ولما أقبلنا على السوق، لقينا فتياناً في جفونهم أملٌ وشوق . وسألتهم: «أفيكم من يدلنا على حانوت عطار؟ نريد منه دخوناً وزعفراناً وبزّار» . فأجاب أحدهم وقال، بعد أن أمال بصره وجمال: «خُذ هذا الطريق الأعوج، حتى تقابلك امرأة نجدية ذات وجهٍ مُبهج . كحلاء لها أنفٌ طويل،

ومبسم مرسوم، ورمشٌ ظليل». . سأله صاحبي في عَجَلٍ: «عَجُولَةٌ أم هي في حَجَلٍ؟». قال الآخر: «إذهب سترها سيدة المكان، وصاحبة الميزان». فأخذتُ صاحبي من يده، وانعطفنا حيث أشار الفتى بيده . عبرنا من تحت قناطر ذات نقوش مُثلثة، من حولها رواشن مُوثثة . لمعت الزخارف الجصية على سطوح البيوت، بعد أن تجاوزنا باعة الدقيق والبشوت . حينها لقينا امرأة عَطْرَة، ذات ثياب نَظْرَة . قوامها كالخيزران، و.....ان . أضفت على رأسها خماراً أزرق، مُطرزٌ مُنمق . مُتبرعة ببرقع واسع العينين، أسود مُزِين بالسدو الثمين . عليها مَقْطَعٌ حريري، مُوشى برسم ذهبي . أمام حانوتها مهباش له عَصَوَيْن، بجانب طاحونة من حَجْرَيْن دائريين . فسمعناها تُغني بلحنٍ نديٍّ وصوتها ناعسٌ شجيٍّ:

"قَفَا وَدَّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى

وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا

بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا

وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا"^٣

وبلهفةٍ سألتها صاحبي: «أنلقى عندك ما نريد؟ من عطارة والمزید؟». . رفعت يدها البيضاء الطرية، ودفعت درفة الباب الخشبية . ودخلت ثم دخلنا خلفها، وجلست ثم سألتها عن اسمها: «لم نعرفك سيدتي؟

وعذراً لشيئتي». . قالت: «اسمي عُنَيْزَة، على عَنزَة كانت عند عمّتي
عُمَيْزَة». . وَطَوَّتْ سَفْرَةَ مِنَ الْجِلْدِ، وهي تنادي فتاها: «تعال يا وَغْد»
. فجاء فتى نحيل العود، كثير البثور على وجهه مشدود . يلبس ثياباً
كالأسمال، ذات أكمامٍ طوال . وقال في صوت مُتَقَطِّعٍ، ولسان
بالخوف مُتَشَبِّعٍ: «أمرك سيدتي، لقد شاغلني أحدهم وأراد منازعتي» .
فأشارت إلينا بسبابتها، وقالت بنعمة تحمل رِقَّتَها: «أعطِ الزبائن ما
أرادوا، وعجّل فالرّهط إلى نجدٍ عادوا». . فَطَفِقَ يُعَبِّئُ الصَّرْرَ بما طلبنا،
ويغرف كلما قلت له: «زِدْنَا» . وفي سرور دفعتُ لها بالنقود، ونثرتها
على خشبٍ قصير منضود . وأشارت بأن اكتمل الحساب، وعلينا
الذهاب . حينها هَمَّ بصاحبي ألم، وشدّ ذراعي وبي التَّحَم . قال: «قد
أحببتُها، وليتني صارحتُها». . فزجرته: «مجنون أنت ولا جدل، هل
أنت صاحبي أم خَبَل؟» . وفي ابتعادنا عن دكانها، شَمَّرَ وترك للنفس
عنانها . فاهتَزَّ بقلبٍ مُلْتَهَبٍ، ثم أنشد في طَرْبٍ:

رَعَاكَ اللَّهُ يَا شَهْدَ الْمَنَايَا

حَرَمْتَ مَطَامِعِي مِنْ رِيْقِ نَخْلِي

أَيَا مَنْ حَسَبُهَا وَتَقُولُ: حَسْبِي

قَضَمْتُ أَنَامِلِي، وَنَزَلْتُ سَهْلِي

جَفَانِي مَضَجُ الْأَمَالِ حَتَّى
قَتَلْتُ الزَّرْعَ أَوْ أَذْوَيْتُ نَحْلِي
يُمَزُّقُنِي حَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ
وَيُفْنِي رَغْبَتِي بِالْحُوبِ جَهْلِي
لَحِقْتُ بِمَرْكَبِ الْأَخْلَامِ لَيْلًا
فَلَا بَحْرًا بَلَغْتُ، وَغَابَ رَحْلِي ٤.

-
- ١ وادي حنيفة: نسبة إلى قبيلة بني حنيفة التي سكنت فيه قبل الإسلام، يمتد مسافة ١٢٠ كليو في وسط نجد من الشمال مائلاً قليلاً إلى الشرق.
- ٢ سوق حَجْرِ الْيَمَامَةِ: من أسواق العرب في نجد، ومدينة حَجْر (مدينة الرياض حالياً).
- ٣ بيتان للصمّة القشيري.
- ٤ الأبيات للكاتب.

كُرَّاس (ب)

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هوزة بن علي صاحب اليمامة

وبعث صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن عليّ صاحب اليمامة، سنة ست، وبعث معه كتاباً فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوزة بن علي. سلام على من اتّبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدك»

رد هوزة على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

«ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك»

فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه قال: لو سألتني سيابة ما فعلت، باد وباد ما فيه يديه ١.

١ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ج ١، أحمد زكي صفوت.

رسالة هودّة ذي التّاج^١ إلى ثمامة بن أثال^٢

أيّها الأمير

دونك نجديون

سهروا مُنصتين إلى القمر

يراقبون لعاب الفجر في فم الغد

يشهدون ساعة تدلّي الضّوء على حزن الرّماد

ظلالهم في ضوء نارهم

ترسم عزاءهم الحجريّ.

نجديون

يُدحرجون غمغماتهم في الجوار

وهُم يجرون أفأفاتهم الطّويلة

على حُمرة المغيب

غضبهم يحتشد في الصّدور

بينما يد القلق تعصر عظامهم
يتحسسون جيوبهم الخاوية
يُحملقون في جذوع الأيام الدّاوية.

أيّها الأمير

لا صوت في فجر اليمامة
غير أمّهاتٍ يقرآن الفاتحة على جفاف الكفوف
شهقةٌ أخيرةٌ

تهرب من حنجرة النهار العبوس
ونسورٌ تتزاحم على جثامين ذكرياتهم.

-
- ١ هودّة بن علي الحنفي: من ملوك اليمامة في نجد، وأول من لبس التاج عند العرب، شاعر بني حنيفة وخطيبهم، كان يسكن مع قومه جوّ اليمامة (مدينة السيح حالياً)، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إليه يدعوه إلى الإسلام كما كتب إلى الملوك.
- ٢ ثمامة بن أثال: من أمراء بني حنيفة في نجد، وأول معتمر في الإسلام، كان يسكن مع قومه حجر اليمامة (مدينة الرياض حالياً).

النَّجْدِيّ يَعودُ إلى أهله

فَترَ النَّجْدِيّ

واتكأ على حجرٍ شجيّ

فطريقه طالت

واللّهفة الطافحة

لم تكُ إلا هاجساً ساحراً

مثل أُمّيةٍ

شارفت ذروتها

والبيد ظمأى

تتمزّق فيها صحف السّراب

فأغواه

أن يُطيّر العزم جارحاً

ويكرع قارورة الصّبر.

سمع نذب دمه
في أحياء السهر
وحين عجز الوهن منه
سرى مزهواً بأحلامه الفتية
والحداء يتدفق
من جدول صوته
عتمة أراقت له همسها
تحطم فيها زجاج الضباب.

غناء نجدِيّ

"يا وجودي يا علي ما علي الدنيا دوام" ١

يغمسها مُغنيها في فضة الواد

فتمور في فؤاد الأديم

عواءً يقتحم الليل

في أثره نداء سُراة راجلين

ينظرون إلى شرفةٍ أشرعت في الظلّمة

شهقاتٌ تقف على جفاف الحناجر

بردٌ يسعى في انتزاع الأطراف

وعلى سعير نار القوم التقت سُمر الأكفّ

مُتخلّقون كذئابٍ شابعة

حول قهوةٍ عربيّةٍ اقتلعت زكام الأنوف

أراقوا صخب نشوتهم في خمول الأفق

اختلطت أصواتهم بالفجر الرماديّ
بعدهما لعقوا السّهر
من أعلاه إلى أدناه
لتنّتش بغنائهم طُرق الصّحراء
يضرب المغنيّ ساخن الأرواح
يقفون كالسّكاريّ
يترنّمون:

"يا وجودي يا علي ما على الدنيا دوام".

الطريق إلى جوّ اليمامة١

على حُمْرة التّل
يركن صغار الحجر
أو كِسْر شجر العليّق
ما به يمعن في السّهر؟
أو يمضغ قلق غدٍ.

يُطارِد طيوفاً مائيّةً في طرق السّهاد
يُطارِد غناء نسوةٍ خلف البيوت
يُطارِد ألسناً طهرن من الابتذال
يُطارِد سواعد تُحطّم تماثيل الأوهام
وجه ليلة شتاء

وجه قافلةٍ تذوب في الرمال
وجه شمسٍ تغيب
عمامة نجدٍ متروكةً على شفير الواد
حين تفرقت على متن نجدٍ ذكريات الآفلين
سيسألوه:

- ماذا عن حداء الأعياد؟

رائحة الحنّاء؟

سكّر القُبَل في نهارٍ قائظ؟

رائحة البكاء؟

يوم ينفخها أرملٌ في روح السّهر:

"تجانف عن جوّ اليمامة^١ ناقتي

وما قصدت من أهلها لسوائكا^٢"

١ جوّ اليمامة: مواطن قبيلة جديس وزرقاء اليمامة في نجد (مدينة السيح حالياً).

٢ البيت للأعشى.

مخطوط نجدِيّ

يا نداءً

الفجر المُهشم

ألفيت رائحته ممزّقةً على رصيف النهار

والذين أدلجوا سلفاً

ملامحهم احترقت في شروقِ كليح.

يا نداءً

سأدلج

لأسمع خطى الحفاة على ساحل الدهناء ١

خطوةً على كتف السّحر

خطوةً على شامة القمر.

يا نداءً
في التّضاريس المحمومة أقصدك
في التّضاريس المتوحّشة
الممّوهة المبعثرة
صدفتها تُمرّن الحزن على الابتسامة.

يا نداءً
صيحة ربيع الأوّل
فزّت من عروق سواعده
أضاءت كقلادة
وألهبت الرّحلة.

١ الدهناء: صحراء متخذة شكل قوس تمثل شريطاً رملياً ضيقاً تتصل شمالاً بصحراء النفود الكبير، وجنوباً بصحراء الربع الخالي.

ما سقط من ذاكرة النّجديّ

قال الرّاوي:

خرجوا من اليمامة ضحى العيد الكبير
غناؤهم يتردّد بين النّخيل
تحيط بهم صرخات الفرسان
تُرفرف حولهم الصّور وتتكاثر
اجتذبوا أحلامهم خلفهم
وذروا رماد حيرتهم للريح السّائرة
فما كان للصّمت أن يغتال أصواتهم.

أردف الرّاوي:

وُجوهٌ سابحةٌ في الدّمع
جاءت لتعطرّ قبور موتاها
دونهم أحزانٌ تفيض بلا احتشام

تنتصب وراءهم المشاعل
محمولين في فلك السّهر.

تذكر الراوي:

اندفعوا في عجلٍ واخترقوا الفجر
بأيّام يحشدها العنفوان
مُخبّئين للغد وَعَد الأجداد
تقطر من جراح أمسهم
ثاراتُ أعملت سيوفها في النّدم.

لحنٌ ندي على وترٍ نجدِي

ندلج

تُطارِدنا أعيُنُ خِلاسيَّة

وَحادٍ يَتقدِّمنا

يُؤثِّث السَّفرَ بالغِناء

فوقِ رؤوسنا

أمانٍ استلفناها

غيرِ بعيدٍ

شَبْحٌ يجرِفُ أحلامنا بالاستيقاظ

سمعنا لُهاثه المُتقطِّع

في الدَّربِ المُنقطِع

يُجرِّ . يُجرِّ

كأوقاتٍ مغلولة

طوّقتها الحتوف
والنّسوة اللّاتي نادينا
انتبذن الفجائع
وما ذاب في غبش الأمس عاد
وأيامنا العرجاء
تحت نوافذنا تموء
أفاقت الغدران على حادٍ ينزلق على حذبة اللّيل
ليؤثّث السّففر بالغناء.

الوحيد في الظلام

أيّها النّجديّون

رأيتكم

تسهرون على نار أحلامكم

وتلامسون القمر

ذلك الوحيد في الظّلام

رأيتكم

مواقيت تصرخ في وجه السّففر

وبروجاً تُعيد عدّ أحزانها

أينما انفجر ينبوع الفجر.

أيّها النّجديّون

رأيتكم

ذراع الشفق الأيمن

ونداء الإبل

ساعة انحدرت نحو مرابطها القصية

رأيتكم

قبل وقت:

سُراة

تجسّون رؤوس جروحنا

وتعصرون كُروم الصبر

لأفواه الحادثات الثقال.

كُرَّاس (ج)

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة وفيهم مسليمة بن حبيب، ومجاعة بن مرارة، فسأله مجاعة رسول الله أن يقطعه أرضاً، فأقطعه إياها، وكتب له كتاباً، وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لمجاعة بن مرارة ابن سلمى، إني أقطعتك الغورة وغرابة والحبل ١، فمن حاجك فإليّ.»

فلما عاد وفد بني حنيفة إلى اليمامة، ادّعى مسيلمة النبوة، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك آخر سنة عشر:

«من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكنّ قریشاً قوم يعتدون.»

فكتب صلى الله عليه وسلم إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.» ٢

١ الغورة بالفتح، ورواه بعضهم بالضم، وغرابة والحبل: مواضع باليمامة.

٢ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ج ١، أحمد زكي صفوت.

كُرَّاس (د)

السَّهْبَاء:

بفتح السين المشددة، وإسكان الهاء، فباء مفتوحة، فألف تقصر وتمد .. لغتان فيها: منقطة واسعة من (الخرج)، وروضة من أكبر رياض (اليمامة)، هي منخرق وادي (حنيفة)، ومدفع سيوله يكبر سيوله أحياناً ويعظم، ثم ينتهي بهذا المنخرق فيتبدد ويضيع .. غرست امرأة فسيلة لها على ضفة وادي (حنيفة) في مجزر منه يلي مزرعتها، يغطيه السيل أحياناً ويجزر عنه أحياناً أخرى .. ولما شطت الفسيلة وتربعت في مكانها وآتت أكلها جاءها وادي (حنيفة) في غضبة من غضباته وجعل يلوي بعسبها، ويحفر تحت جذرها، وصاحبها تشاهد هذا المنظر ... وأخيراً عصف بها وحملها تطفو حيناً وترسب حيناً حتى اختفت عن نظر صاحبها، فما وجدت من حيلة تبرد من حرارتها على نخلتها سوى أن قالت: موعد (السهباء) يا وادي حنيفة تحد من طغيانك وتكسر من جبروتك!.

وهكذا (السهباء) في سعتها .. هكذا تفعل ١.

١ معجم اليمامة ج ٢، عبدالله بن محمد بن خميس.

شُذُورِ عَلٰى جَبَلِ التُّوبَادِ ١

1

المغيب، كظلمةٍ تتمدّد
يُضَيِّقُ حُدُودَ السَّهْرِ
وينصب في الأفق خيمته.

2

المغيب، قدحٌ غير مملوء.

3

المغيب، يسعل في حنجرة النّهار.

4

المغيب، يظهر في قفطان عجوزٍ
لا تتسع لها أرض.

5

المغيب، يُلقِي إلينا برؤوس الموتى
ويمزج ثياب نجدٍ بغبار السّفَر.

6

المغيب، لا ينسج إلا نفسه
لتلهو به حدود النفس.

7

المغيب، يخلط هلوساته بالبرد
ويتسلق عمود الفجر.

8

المغيب، يرمي أعواده قرب الناعسين
ويمزق كراريس صفراء
دوّنتها جراح الأمس
لمحبطين يفيقون ليلاً.

١ التّوباد: الجبل الذي شهد قصة قيس وليلى، يقع في الفلج (مدينة الأفلاج حالياً) جنوب إقليم نجد، وجاء في الأغاني للأصفهاني: "وبالفلج نخيل ومزارع وأنهار، وهو من قرى اليمامة، بينه وبين حجر مسيرة عشرة مراحل".

أصوات النجادة الأواخر

صَوْتُ التَّارِيخِ

"ثم دخلت سنة ١١٦٢هـ: (أولها يوم الأحد ٢٢ ديسمبر سنة ١٧٤٨م) وفيها حصل برد شديد بحيث أن الماء جمد في البيوت من شدة البرد، ومات غالب الزروع، وهذه السنة مبتدأ القحط الشديد المسمّى "شيتة" جلا فيه كثير من أهل نجد للزبير والبصرة . . . ١"

"الزّبير تأخذك فجأة من العراق التي تشبه فارس بثقافتها إلى بلدة صحراوية عربية نجدية هي الزبير . . . معظم سكان المدينة من العرب النجديين وخاصة أولئك الذي يتعاملون مع القوافل، وعلى ذلك فإن اسم الزبير معروف في نجد أكثر مما هو في البصرة" ٢

١ تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، لـ عبدالله بن محمد البسام

٢ عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل، لـ باركلي رونكيير.

صَوْت 1

آنذاك، آنذاك
كشف الشتاء صدره
شغفاً بليالٍ طوال
يركض تحتها فتية ناحلون
راحت الأرض حينها تفلح أضراسها
وتتقلص دون العابرين.

«لِمَ أنتم هنا؟»
تقول الأبدية مُستدرجةً الموت
صدورهم تخفق بأحلامٍ عظام
وأملٍ لاهث.

التجادة: نجديون هاجروا من نجد آخر القرن 11هـ ومطلع القرن 12هـ وأسّسوا بلدة الزبير.

صَوْتَا 2

فرسان . نساء . فِتْيَان . خدم . دواب
أضراس البرد تعلقك أوّل محرّم
وُجُوهُ من شقوق الطّين أطلّت
من حلوق الحارات المعتمة
تنطلق صفر الجمال
مَارَّةٌ يترخّمون على قتيل
جالسون يتهامسون في قضاء حوائجهم
قَلَّةٌ تقف ساكنة الأطراف
قَلَّةٌ تجيء على سفائن القمر
ترمي ملاءة صبحها على عجوزٍ ذات جرّة
تستند إلى مدخل الزّبير
تنظر في نجديين

يتهادون في ثياب الجرحى
بسواعد تقفز بين السيوف والحيطان
رؤوسٌ تترنّح تحت سحائب النسيان
أحزانٌ ثرثارة
عن قوافل تخنقها يد الغبار
عن مهاجرين شربوا المغفرة، ولعنوا الذّاكرة
وقارئٌ يخطّ في طرسٍ يابس:
أقدامٌ تخبط الرّمْل
أبصارٌ ممدودة على حبل البعيد
طريقٌ ضيّقةٌ طافحةٌ بالذّكريات
تُتأتى بين البيوت:

"أراك إلى نجدٍ تحنّ وإنّما

منى كلّ نفسٍ حيث كان حبيها*"

* بيت لابن الرقاع العاملي.

صَوْتًا 3

كُعُوبٌ تَخْبِطُ جُنُوبَ الْأَشَدَّةِ

كُعُوبٌ تَغُوصُ فِي طِينِ التَّوَاءَاتِ الطَّرِيقِ

كُعُوبٌ تَتَهَادَى بَيْنَ جَذُوعِ النَّخِيلِ الدَّاوِيَةِ

نَجْدِيَّوْنَ يَشْدُونُ أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَكْوَارِ نَوْقِهِمْ، ثُمَّ سَارُوا عَلَى مَهْلٍ،
بَعْدَ أَنْ تَعَثَّرُوا فِي خَطِيٍّ غَيْرِ مُنْتَظِمَةٍ، وَهَرُولُوا تَحْتَ سَمَاءٍ صَافِيَةٍ
بِالنُّجُومِ، وَاللَّيْلِ يَقْطُرُ فَوْقَ هَوَاجِ قَافِلَتِهِمْ، وَكَلَّمَا أَهْجَلَتْ نَوْقَهُمْ
بَيْنَ الْهَضَابِ، حَمَلُوا عَصِيَّهِمْ بَيْنَ أَكْتَاْفِهِمْ وَوَضَعُوا لِفَائِفِ التَّمْرِ
فِي جِيُوبِهِمْ، وَسَرَّحُوا أَبْصَارَهُمُ الْحَادَّةَ وَرَاءَ وَرَاءَ.

يقول صاحبهم:

- وَضِعَ الْمَوَالِيدُ فِي الْأَخْبِيَةِ لَيْلَةَ أَنْأَخُوا عَيْرَهُمْ دُونَ الزَّيْرِ بِفِرَاسِخٍ.

يقول رديفهم:

- كَانَ هَذَا بَعْدَ أَنْ تَرَكَوْا نَجْدًا خَلْفَهُمْ، هَارِبِينَ مِنْ سَهَامِ الْقَحْطِ
وَأَضْرَاسِ الْمَجَاعَةِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ لَيْلَتِهَا قَدْ لَقُوا مَصْرَعَهُمْ مِنْ
بِنَادِقِ لَصُوصِ الطَّرِيقِ، بَعْدَ كَرٍّ وَفَرٍّ، كَادَ فِيهَا النَّصْرُ أَنْ يَرْجَحَ
بِكَفَّتِهِمْ لَوْلَا أَنْ قَتَلَ اللَّصُوصُ لَيْسَ كَقِتَالِ الْفِرْسَانِ.

يقولون هم:

مُهرولون

والقيعان النديّة بخطوات العابرين

تصرخ دوننا:

"يا قلب ما أنت من نجدٍ وساكنه

خلفت نجداً وراء المدلج السّاري*"

* بيت للشريف الرضي.

صَوْت 4

نجديون

يُضيئون فوانيسهم المائعة

بين بيوت الطّين وقبب الخيام

قلّقون في الحديث

عابثون كالأشباح

مُقيّدون في شبرٍ من الأرض

وبأيديهم أباريقُ ملأى بالأحزان

وأكوابٌ مقلوبةٌ على رقوق النسيان

يُناورون المدى

عن أعشاشٍ فتّت البرق عيدانها.

صَوْتَا 5

مُزْدَهَوْنَ بَتِيْجَانِ الْبَاسِ

مَزْهُوَّوْنَ بِأَوْشْحَةِ الصَّبْرِ

فَقَالَ: وَأَنْتَ؟

قُلْتُ: بَعْضِي رَاكِضٌ هُنَا

وَبَعْضِي رَاكِضٌ هُنَاكَ.

تَعْبِي يَقْضِمُ أَيَّامِي الْمَجْدُورَةَ

مُذَّاكَ وَيَقِينِي ذَاهِلٌ

مُذَّاكَ وَلِلَّيْلِ قَطِيعَةٌ مَعَ حُمَّايِ

مُذَّاكَ أُجَدِّفُ فِي نَهْرِ مَسْحُورِ

مُذَّاكَ وَأَمْلِي قَتِيلٌ عَلَى فَرَّاشِ ذِي لِحَافٍ مَسْمُومِ

وَشَكِّي بَاكِ يُقَلِّمُ أَضْفَارَ صَبْرِي الطَّوِيلِ.

الأصوات كلّما

مُدلجون خائرون
تتبعهم ظلالهم النَّازفة
ناعسون تعبون
ونهارٌ نصف أعمى
فلاةٌ وراء فلاة
وأقدامهم تغوص في لاج الطّين
طينٌ عاش يلهو بطين.

يُهرولون
أمام خيولهم الصّفراء
حيث الشّتاء النّافر
يصفع أخبية النَّاعسين.

العودة من العقيق ١

حُفَاةٌ من خلف الغسق
يحملون سلال الغربة
وجدوا أسماءهم في سجلات الصّحراء
فرائس للتعب
شرع أملهم الكسير
يطبع قُبَله الخاطفة
على سُمْرة جباههم
ملامحهم هائمة
قاماتهم مائلة
رائحة جلودٍ مضغها الصّيف
ماضٍ
يدسُّ أنفه الضّخم
في رؤوسهم المنحنية.

يُمسكون بطيورٍ تتواصل شقشقاتها
يُنصتون لقطعانٍ تمدّ ثغاءها
نُعاسٌ يلطّخ أعينهم
ويقذفهم لنفق النّوم
حيث يركض الغبار بين الأودية
ويُنزل أحلامهم الكليّة
وهم ينظرون إلى جيد النّهار
وعلى ألسنتهم تقف الأسئلة.

١ العقيق: يسمى عقيق بني عقيل، جنوب عارض اليمامة (وادي الدواسر حالياً) والعقيق هو الوادي الذي يعق سيله الأرض، أي يحفرها.

يُنَادِي: تَوَعَّلُوا.

تحت مطارق الشِّتَاءِ
يتقلَّص الأديم
نجديون حداة
يتوَعَّلون بأحزانهم الرِّثَّة في أدران الحياة
ويسرجون البروق بالأغاني
ثمَّ يعقلونها
في أحراشٍ راجفة
تتقيأ الرِّيح في جنباتها
يركضون إلى الوسم
يغطسون في العتمة الباردة
الحادي الأخير
يرهن أَلحانه للبيد

ساعة استعاد صوته المطحون
من أضرار الرّحيل
ولج أخبية الخليّلات
وتشاغل بكأس السّهر
في ليالٍ ترتجف
تحت أغطية الهيام
وكلّما ألهبوا جنوب الإبل حداة
يُنادي: توغّلوا.

شُذُورِ عَلٰى وَبَرِّ نَاقَةِ الْبَسُوسِ

مُنَادٍ يُنَادِي:

تَرْحَلُوا

الْتَّارُ يَعْدُو نَحْوَكُمْ

وَلَهُ اتَّسَعَتِ الْبِيْدَاءُ

فَابْنُوا شَوَاهِدَكُمْ.

يَا تَارُ

إِنَّهُمْ يَسْتَحْمُونَ بِالْدَّمَاءِ

يَلَا حَقُونَنَا تَحْتَ كُلِّ سَمَاءٍ.

يَا تَارُ خذنا للوديان

يَا تَارُ مَا فِي الْحَيِّ أَهْلٌ

يَا تَارُ مَا فِي الْأَرْضِ نَاسٌ.

يا ثأرُ
ألقِ أعيادنا في الكهوف
ألقِ أحلامنا للحتوف.

يا ثأرُ قُلْ شيئاً
لجوع السيوف
وعطش النبال.

يا ثأرُ حُذِ الأقمار
مزّق الأشعار
وقطّع الأوتار.

حوار غرب المجازة ١

- مُنادٍ ألتغ.
- لا يُنادي صَحْباً، بل شجوناً،
وشحوبه آية القلق.
- يتوجّس وفمه محشوّ بالبكاء.
- تلك هي رحلته الأخيرة.
- وخيار طرقاته أعرج الخطوات.
وأن تنزف ممرّات أيّامه.
- يتأسّى.
- مذّاك وهو مطرّقٌ لا غير.
- دامع العينين، مدمى الجبين؟
- مذّاك والنّدم مئذنته
وأعياده لبانة أضرّاس التّعب.
- وحيدٌ وغائب.

- مذكّك وقناعه واحدٌ شفيف
وليالیه أردية للخريف.
- عاش كذبٍ وُلید.
- بل كقافلةٍ يلطمها الغبار.
- يناور قلق الصّحراء.
- ناسياً يديه

على جذوع الضّحى
كلّما شطّت به الذّكرى
لغير مكان
وضاقت على كواكبه
صدور نوافذه.

١ المجازة: واد وقرية من أرض اليمامة . . . وبها أخلاط من الناس . . . سكنوها بعد قتلة
مسيلمة الكذاب لأنها لم تدخل في صلح خالد بن الوليد لما صلح أهل اليمامة، وبها جبل
يقال له شهوان يصبّ فيه نعام وبرك، ووراء المجازة فلج الأفلاج.
معجم البلدان لياقوت الحموي، ج ٥ / ص ٥٦ دار صادر.

حادي التّوق من حجرًا إلى جوًّا

مئات الرّاجلين
في ثيابٍ صفراء
وُجوهٌ تحكّ حزنها بالرّمال
دخلوا من جانبٍ مُهدّمٍ من أسواره
يُوغلون في اللّيل
كأشباحٍ عارية
تؤلّم منحنيات الطّريق.

أيدي تتحرّك دون إرادةٍ منها
أبدانٌ نصف ناهضة
فجرٌ انتزعوه من فجر
سفرٌ أولجوه في سفر
نسوها مغمضةً أعين النّجوم
على أذرع مسدلة.

الغسق، الغسق
يرجم الأبصار المائعة
ولا أعينُ
فتفرّقها مجاديف النّهار
في معبر القوافل المنسيّة
بين أشجارٍ لا تبسم
ووجوهٍ مُبتلّةٍ بالتّعب.

١ حجر اليمامة (مدينة الرياض حالياً).

٢ جوّ اليمامة (مدينة السيح حالياً).

آخر الرّعاة في وادي الكلاب

رُعاةٌ حولِ نجدٍ يموت

صوتٌ يعلو:

«سَلِّهم عن فرسانٍ مهزومين».

صوتٌ يتحشرج:

«وطئوا طريقاً

عبّده أخفاف الإبل وأقدام السّراة

سفرٌ من أعماقه

يعطّ بخضاب العاشقات

يخطّه مُغنّ

محمولٌ بأذرع الصّباح

وأكوابٍ مُنمنمةٍ تُفرغ في بطن الغناء».

ليلةٌ بقمرٍ غيرٍ مكتمل

تزمّ شفّتها مُستغربة:

« كدبيب نملٍ تسير رحالكم

تطويها أعينٌ بكت طويلاً».

صوتٌ يتردّد:

«فائضٌ من أسرارٍ ثقيلة

تتأرجح بين الموت والحياة».

صاحوا مُلوّحين:

«تلوّثت حظوظنا

فتكوّرنا مثل الأجنّة».

صوتٌ يفرّ إليهم:

«أيّكم راعي الإبل؟»

١ وادي الكلاب: من أودية عالية نجد، بضم الكاف، وتخفيف اللام، من الكلبة وهي

المشقة، وفيه كان يوم الكلاب الأوّل أحد أشهر حروب الجاهلية.

مراثي الجليلة بنت مرّة

يا للنجديين!

ساعة انحدروا آفلين مع عتمة تذوب في يد النهار، سقط الصّواع من يد الملك، وتدحرج تاجه إلى باب الحاجب. فيا أيتها القلاع المدجّجة بصيحات الفرسان، والمحاطة بأحلام الملوك المُنكّسين على ظهور البغال، أنصتي قبل أن يختطفنا الزّمن العجول، ويهوي بنا في ليلٍ أصمّ أبكمٍ عنيد.

للمردة العصاة انصتي

أيتها الأسوار الواهنة، الذّائبة في بركة الماضي الآسن، ركام حجارتك مكوّم على أكتاف الوادي القريب، بعد أن اعتلكتها أضراس المغازي، وبلّلتها لُعاب المطامع الملعمّة بأفاعي الدّروب.

للمردة العصاة انصتي

يا بلاداً تنبت من طين الندرة، من خلفها بلادٌ تخرج من نوافذ
السحاب، وترسل رائحة المطر، وثالثةٌ تُزهر في غصن المغيب، وتوقد
مدافئها للقادمين من لوثة البرد.

للمردة العصاة انصتي

أيتها النعوش المحمولة، على رؤوس مشيعين خائرين في حزنٍ ثقيل،
يغمغمون بكلامٍ مبتور، وآخر مشوّش، يتوغّلون في الظلام تجاه
المقبرة البعيدة، ساعة أنزلوك على أرض جرداء، لتجاور مشاعلهم
الطويلة، ولغطهم يتصاعد ويخفت، ثم شرعت معاولهم تحفر في
عمق الأرض التي أحالها مطر البارحة إلى طينٍ ثقيلٍ لزج، معاول تتابع
طرقاتها غائصةً في الأرض.

للمردة العصاة انصتي

أيتها الهضاب المعصوبة بعصاة الصّيف، أنيبي إلى نداء الفلوات
الجرداء البعيدة، أوسع الرّيح صمتاً، حتى تتوعّك قمصانها بويل
الثّقوب، وتهوي حنجرتها على رماد نجديين غادروا قبل أن يفيق فجر
غدٍ، أو تنفتت صيحتها على صلْد صخور سفحك الأبكّم، وتُجهز
عليها أيادي الخريف.

للمردة العصاة انصتي

امرؤ القيس ينتحل نثراً

جُنّ الملوك

جلبوا الشّمس إلى مخادع الخليلات
وضعوا الرّسائل في أفواه الوشاة
وحجبوا دَفق الهبات.

جُنّ الملوك

وجلوا على آتِ عليل
تركوا سهيل خيولهم لغدٍ
وزرعوا الخدائع في طريق الأقرباء
وغيّروا قواميس الحياة.

جُنّ الملوك

على مضضٍ يُنادمون القبور
وعلى أبوابهم أوقفوا وحوش الفجور.

شُدُّوا خِيَامِي
وَهَجُّوا مِرَاتِي
فَتَّشُوا فِي مَعْجَمِي الذَّاتِي
عَنْ لُغَةِ الْخُلُودِ.

اصْقَلُوا سِيُوفِي
أَفْضَحْ بِهَا غَلَّ الضَّلُوعِ
أَكْشِفْ بِهَا نَارَ الدَّمُوعِ.
وَأُطَهِّرْ نَتْنَ الْقِصَائِدِ
بِمَاءِ عَفْوِ الْمُلُوكِ.

التدوين الأخير للكندي ١

ما

بين لُغاطٍ ٢ والعقيق ٣

نجديون

من خلف القرون رأيتهم

يعبرون من دون هضاب النهار

كانوا يتهامسون

خلف أميرٍ يقرأ من ذاكرة الأمس

طال تهامسهم

حين قرأ أميرهم:

«فأتت سنة الجراد

فهزّت كتوف الليل

حوادث سافرت في طريق الشروق»

والرَّهط يهبطون كقطع الذّاب
يُهرولون تحت سماءٍ عليلة
يُقبلون على ظباءٍ ناعسات
في أسرةٍ دافئات
يُعوون قُرب نار الجنون
ويصوغون الشّهوات
ليطلقوا صيدهم في حلّكة القرون
ويرتجزون.

١ مملكة كندة الأولى أحد الممالك العربية القديمة جنوب إقليم نجد.

٢ لغاط: (الغاط حالياً) يسمى قديماً (لغاط) من لغط السّيل.

٣ العقيق: يسمى عقيق بني عقيل، جنوب عارض اليمامة (وادي الدواسر حالياً) والعقيق هو الوادي الذي يعق سيله الأرض، أي يحفرها.

كُرَّاس (ر)

قال البيهقي: وهي ملك منقطع بعمله، ويحدّها من جهة الشرق البحرين، ومن الغرب أطراف اليمن، ومن الشّمال نجد والحجاز، وأرضها تسمّى العروض: لاعتراضها بين الحجاز والبحرين، وطولها عشرون مرحلة. وهي من في جهة الغرب عن القطيف، وبينهما نحو أربع مراحل، وبينها وبين مكة أربعة أيام . . . ١

. . . قال في تقويم البلدان: وبها من القرب عين ماء متّسعة وماؤها سارح، وذكر أنها [أكثر نخيلاً من] (١) سائر الحجاز، ثم نقل عن رآها في زمانه أن بها آباراً وقليل نخل، وكأنه حكى [معبراً] (2) عمّا كانت عليها في القدم، وبها واد يسمّى - الخَرْج - بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وجيم في الآخر، كما هو مضبوط في الصّحاح. ٢

(١) بياض في الأصل والتصحيح عن التقويم وقد وردت هذه الملاحظة في طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) بياض في الأصل والزيادة ليستقيم الكلام عن طبعة دار الكتب المصرية.

١ صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٥. ٢ صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٦.

كُرَّاس (س)

الجبيلة:

تصغير (جبلة) قرية صغيرة متأخرة الآن واقعة في أنف (جبل) (سدحة) الجنوبي الشرقي، تشرف على وادي حنيفة من الناحية الجنوبية، وتشرف على (عقرباء) من الناحية الشرقية الجنوبية، ولا يبعد أن تكون تسميتها لتعقلها بأنف هذا الجبل، يجتازها طريق (العينة)، و(سدوس) و (الحيسيّة) ولا شك أن اسمها الآن محدث وإلا فهي جانب من عقرباء (حديقة مسيلمة)، وعليها وعلى ما حولها تقوم حصون الحديقة وأبراجها وبعض مساكنها، ولا تزال تقوم هنالك أبراج وجرائم حصون وبقايا أسوار، وبجانبتها جبانة تقع بها قبور الصحابة الذين استشهدوا في الحديقة وحولها، في جيش خالد بن الوليد الذي قاتل المرتدين في هذه المنطقة . . . ١

١ معجم اليمامة ج ١، عبدالله بن محمد بن خميس. ص ٢٦٤.

معراجٌ على جبل رأس الكلب ١

نجديون في النهار
بملاح مشحونةٍ بالتعب
بعد صيفٍ ونصبٍ
من تحتهم تخلع الأرض أديمها
ويمسحون في ضجر الطريق
على رأس الأمنيات الصغار.

يُرَدِّدون:

كفى أيها النهار
التعب الشارد
يقطر من شفئك
الداكنتين النديتين.

أجمعوا أن يستردوا حزن الصحراء

وفي الربيع قفزوا فوق النخيل ودون الوديان

يُرَدِّدون:

نساخٌ . نساخٌ . نساخٌ ٢.

حَبَّ جيادهم تحت ليل اليمامة

رهطٌ يهرولون نحو الغيوم

سلكوا شعاباً مزّقت جلد الحنين

حيث الحداء يدمي أصواتهم

وهم يرفعون في وجه الليل مشاعلهم كقبيلة

فلاحت نجد منادية:

- تلك بئري وذا كثيبي.

١ رأس الكلب: رأس جبل بارز يطل على الخرج من الناحية الجنوبية الغربية.

٢ "هو واد باليمامة، قال نصر: نساخ ناحية من جو اليمامة لآل رزان من بني عامر، وقيل: واد يقسم عارض اليمامة أكثر أهله النمر بن قاسط . . . وذكره الحفصي في نواحي اليمامة وقال: هو واد وأنشد، وقال السكري: نساخ اسم جبل، ويوم نساخ: من أيام العرب مشهور" (معجم البلدان لياقوت الحموي، ج ٥ / ص ٣٢٦ - ٣٢٧ دار الكتب العلمية).

صرير الأبواب التَّجديّة

جاء في أخبارها:
أنّها رأتهم في هودج الغياب
فأنصتت إلى نداء الشّجر
وركعت لحديث المطر
وأشاحت عن عاصفة الضّجر
ووصفت للمغيب ظمأ الغائبين
عن أبواب أعوامٍ مائلة
مَسّها ضوء الحنين.

عند أنّ عتباتها

نزل القوم

تفرّق القوم.

قلوبٌ ترتعش على رنين حنينها

عُشَّاقٌ مرسومون على خشبها
أغانٍ متروكة على زخارفها
رسائل استعارت ألوان نقوشها
أسماءً توارت خلف صريرها
مفارقون مرّوا بلا أفئدة
بأبوابٍ مزّقت خرائطهم
بعتباتٍ بلّلتها نشوة الذكرى
وسطورٍ بأصابع الخليلات.

الأبواب النجدية: صناعة يدوية من الأثل وجذوع النخل، وتزين بالأشكال الهندسية وأشكال النباتات، كما تتميز زخارفها ونقوشها بالبساطة والألوان الهادئة والنمط التكراري.

الظعن الأول

روى شيوخ اليمامة:

ظاعنون بدنانير تحفّ المزاحم

نسوةً يتنادين بجرارٍ خاوية

وأيدٍ خالية

تعجن التمر المكنوز

والإقط المقروض

ورّاقون بكتبٍ صُحِفَت من جلود الظبّاء

أوكأوا صناديق يحقّها دخان الحطب.

أبراجُ تعشّش الجوارح في شرفاتها

فتياتٌ يلهمن الطّريق

بحفيف أثوابهنّ

وأجراس خلاخلهنّ

يُهرولن كالشّمس يعبقن الطّريق
ويطفئن حمى النّهار بغناء رقيق.

أضواء أرجلهنّ
تصعد سلالم الحصون الطّينية
من علوّ أسوارها
يرمقن بلدات اليمامة
يرفعن أكفّاً مُحنّاة
وأذرعاً منقوشةً
يُحيين قوافل الحجيج العائدين
بأصواتٍ مُتراخيةٍ على طول الظّلال
ويولمن للسّاهرين جمّر الوصال.

غناءٌ حسب التوقيت النجديّ

غناءٌ

كساعة صمتٍ بين حبيبين

صوتٌ

تطوف عليه أيّامنا

والصدف تصوغ نفسها

لشخصين متأخرين

غناءٌ من مبسم الليل طائر

يعلو

نحو شفة السّهر الفتّيّ

أفئدةٌ من النّور تدنو

وفتّى يعلّق أحلامه على جيد قمريّ

على تعرّجات الوشم ١.

النجديّات السّاهرات

يولمن لألحانه وحدها

يرسمن ملامحهنّ المتفرّقة على حائط الذكرى.

في صبح نجد العجول

وجهين مستعارين

ساقين خجولين

وقلبي يصبو

لأغنية الأعوام الغائرة:

"ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد

فقد زادني مسراك وجداً على وجد

رعى الله من نجد أناساً أحبّهم

فلو نقضوا عهدي حفظت لهم وديّ^٢"

١ الوشم: بالفتح ثم سكون، ويقال له الوشوم: موضع باليمامة يشتمل على أربع قرى . . .
وأخبرنا بدويّ من أهل تلك البلاد أن الوشم خمس قرى عليها سور واحد من لبن وفيها نخل
وزرع . . . والقرية الجامعة فيها ثرمداء، وبعدها شقراء وأشيقر وأبو الريش والمحمدية، وهي
بين العارض والدهناء. معجم البلدان لياقوت الحموي، ج ٥ / ص ٣٧٨ دار صادر.

٢ بيتان لعبد الله بن الدمينة.

رحيل العرب النجدية

صوتٌ وحيد:

يوم ظعنهم

قوافل تندسّ في سرير الضّحى

قوافل يختطفها جمر الغسق

قوافل يعوي عليها ذئب الشّتاء

قوافل تحصي جروح البراري

وقبّل خطو الخريف على القاع

يهوي حذاء السّراة

حين الممالك حين الملوك

وكفتيانٍ ناعسين

تبدو الدّيار.

صوتٌ خفيضٌ:

ذاك حبيّ

ذاع في أزقةِ نجدٍ وبيوتها

تسرّبل على سطوح أهلها

نقشت على دجاي حبر شجونها

فطرقاتها مساكن من غرام

وسقوف أهلها حكايات بلا أصوات.

صوتان ثقيلان:

- ماذا ترون أنّي فاعل بكم؟

- ما يفعل الرّعاة بذئب جريح.

نشيرة تنسب إلى جرير

ظباء عفر

تلج خلوتي

تدوس جماجم أحلامي الأولى

فتخرج من باب الفجر

وتتركني

يحاصرني النعاس

- ككلّ ليلٍ أصمّ -

أنادي

في صحراء النسيان

وأشتمّ ملامح الأصحاب

وأرجم في ذاكرتي المريضة

جثث الأتراب

وظلال العابرين
فتعلكني أضراس الظنون.

أُنَادِي:

"انظر خليلي بأعلى ثَرَمْدَاءِ ضُحَى" ١
إِصْبَعاً، إِصْبَعاً
تَلْطَمِ أَعْيُنَ أَمْلِي الصَّغِيرِ
وَتُعَارِكِ هَاتِيْنِ الْيَدَيْنِ
قَبْلَ أَنْ تُلَوِّحَا لِمَرَكَبِ التَّائِهِيْنِ.

١ ثَرَمْدَاءِ: بلدة نجدية قديمة قبل البعثة النبوية، فيها ولد ومات جرير.

هامش على الملحمة النجدية

دأب النجديون
أن يعرفوا الشّمس
من بئر النّهار
ويرتجزون على دفع انتصاراتهم.

حشد فرسان
يهلّون لقتالٍ عميق
حين اقتربت
رأيت أسماءهم على شواهد ضوئية
سمعت صيحاتهم في شجون الأبدية
وبأيدٍ غليظة
يفتحون جراح الصّحراء
يجرّون الرّيح خلفهم
وينتزعون أحشاء السرى.

يدفنون قتلاهم في قبور الأفق
ليغيضوا ذئاب الفجر
 ويفركون جراح الحرب
بملح القلق.
يحفظون رائحة المنازل العتيقة
يغذّون شهوة البنادق الطويلة
ليرثوا النّقع
ويلهموا النّصال أعياد الانتصار.

ملحمة نجد الكبرى: ١٢٥٣هـ وقعت أيام الدولة السعودية الثانية ضد القوات العثمانية
الغازية ببلدة الحلوة جنوب نجد، قال ابن بشر صاحب عنوان المجد في تاريخ نجد:
"فوقعت الهزيمة العظيمة التي ما وقع لها نظير في القرون السالفة ولا في الخلف الخالفة على
عساكر الترك وأعاونهم وهلكت تلك الجنود ما بين قتل وضمّاً."

كُرَّاس (ص)

أما في الجاهلية فقد كان الخرج - جو اليمامة - منافساً كبيراً (لحجر) -
الرياض - فقد كان الخرج (جو الخِضْرَمَة) وهي قسبة المنطقة
ومدينتها العتيدة وحصنها المنيع، وحولها الحصن العظيم الذي يقال
له (الجون) وإليها أشار المتلمس بقوله:

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجَوْنَ أَصْبَحَ رَاسِيًّا

تُطِيفُ بِهِ الْأَيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ

عَصَى تُبْعَاءً، أَيَّامٌ أَهْلِكْتَ الْقُرَى

يُطَانُ عَلَيْهِ بِالصِّفْحِ وَيُكَلِّسُ ١»

١ معجم اليمامة ج ١، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ عبد الله بن محمد بن خميس.

وَشِيٍّ عَلَىٰ عِبَاءِ نَجْدَةَ بِنِ عَامِرٍ

نَجْدِيّونَ ضَجْرُونِ
يَقْفُونِ بِبَابِ الْغَضَبِ
يَخِيطُونَ فَتُوقَ الدَّجِي
وَيَجْزُونَ رَأْسَ السَّهْرِ الْكَثِيفِ
ابْتَلَعَتْ أَفْوَاهُ الْمَدَى حِصَادَ ظُنُونِهِمْ
وَبَلُونِ الصَّحْرَاءِ خَضَّبُوا جُلُودَهُمْ.

نَجْدِيّونَ آفَلُونِ
تَحْتَ مَطَرِ انْتِظَارِهِمْ
يَسْطُونَ سِوَاعَهُمْ لَلْسَانَ النَّهَارِ
وَيُقَشِّرُونَ أَحْلَامَهُمُ الْيَابِسَةَ.

بين أغصان الليل
هبطوا
ورعوا قطعان همومهم
وخرجوا من دفء الدّيار
يشربون غضباً مُزج بماء السّهر.

أستحلفكم يا سراة هذا العراء
ها هو هذا صوت حظّي
يقرع آذان الهضاب
ها هو ذا خلف الصّحراء
يُنادي:

لا تنظروا إلى خطوط تجاعيدي
فالحادثات لوّثت ملامحي.

١ بوادر الحركات . ومن أبرزها حركة نجدة بن عامر الحنفي . . . إذ يكاد يجمع المؤرخون على أنه خارجي، وأنه تنسب إليه فرقة من الخوارج تدعى (النّجديّة).
ابن عربي، موطد الحكم الأموي في نجد ل حمد الجاسر، ط ١٩٩٣ م.

العرضة التجديّة

الطّبّول القريبة

تُحيط بعباءات الملوك

ملامح التّاريخ جليّةً بلا زخارف

عرضةٌ حملتهم إلى ساحة الخلود

كانوا هناك يصحبهم لهيب القصائد

بنصالٍ تعطّرت للحروب

وعمائمٍ تحدّثت لبيوت الطّين

وأحزمةٍ رصاصٍ أنصتت لأوتاد الخيام

أنّ نجداً محاطةً بالصّدور.

ماضٍ يخرج من وادي حنيفة

يُلوّح بقلمٍ صنّعه الصّحراء

ويتلو على صفوف العرضة سطور المجد.

وُفودٌ اصطَقُوا عند دار الإمارة
أبوابٌ قناطرها بسموّ النّخيل
نجديون يلوّحون بالسّيوف
يُبايعون ملوكهم
تحت قبة الولاء
يربتون على أكتاف النّواب مُردّدين:
"يا دارٍ لنا حقّك علينا
يا دارٍ لنا حقّك علينا"

العرضة النّجدية: رقصة شعبية تؤدى في المناسبات الوطنية والمهرجانات والأعياد، وتمثل جزءاً مهماً من تاريخ المملكة، حيث بدأت كأحد أهازيج الحروب في الماضي، وهي العرضة الرسمية للبلاد حيث يشارك فيها الملك أيضاً في حفل استقبال كبار الشخصيات. سجلت لدى اليونسكو ضمن لائحة التراث العالمي في عام ٢٠١٥م.

التلاوة النجدية

ولد في نجد، ونشأ في صحرائها وقراها، فاختره سحرها، وتعلم القراءة والكتابة والقرآن على الطريقة النجدية، وذلك بالكتابة على الألواح ومن ثم محو وكتابة، ثم محو وكتابة، ثم قرأ بصوت توسط بين الصعود الشجي والهبوط الندي:

هزّ أبواب الفجر

صوت دافئ يوقظ أمةً

لتصحو

وتهشّ التعب عن عظامها

آيات . آيات . آيات

تصعد تترى

من حناجر انتزعها الجفاف.

عاش مراهقته مع جوقةٍ تقرأ من المصحف وتتردد أصواتها في بيوت بنيت بالطوب الطيني والحجارة الصلبة، وسويت سقوفها بأشجار الأثل اليابسة، ومن أعلى سطوحها الواسعة تبرز مثلثات جصية صغيرة كثيرة بثقوب مزخرفة، قاعدتها للأسفل ورأسها للأعلى.

يتذكر هذه التفاصيل جيداً، وهو خارج ضحى يومٍ بعد أن بلغ السبعين ثم دخل إلى المكان ذاته، ورأى الأجزاء المنهارة من أسواره الطينية، وألواح تحمل آيات وأسماء سور وشروح مكررات. لمس الدرفة الخشبية للنافذة التي عندها كان يكرّر الآيات ويسمع معلمه ما خطّ في صدره.

ألقى عصاه أسفل النافذة بعد طول تبصّر وتمعّن في رسوم المكان. رحل في حدود العشرين من عمره الذي أمضاه في طريق السفر والكد والتعب وشقاء الروح قبل الجسم النحيل، ارتحلت عيناه الصغيرتان المترتحتان في الأسقف والجدران كمن كادت أن تسرقه إغماءة مخاتلة، ثم بصوتٍ خافتٍ تعبٍ مشحونٍ بالحزن والألم معاً، ردّد بالتلاوة النجدية آية من القرآن:

{ كلّ نفسٍ ذائقة الموت ثمّ إلينا ترجعون }

التلاوة النجدية: مظهر قديم من مظاهر تلاوة القرآن الكريم يخص أهل نجد، وجدت سابقاً في المساجد الطينية، وتسمى "قراءة الشيبان" ويعد أهم ما تتميز به القراءة النجدية هي الطريقة الفطرية اللحنية الشجية السهلة دون تسرع أو تكلف.

هواجس عنان اليمامة

لك ما ارتضيت
حفنةً من طين الحنين
لك ما ارتضيت
سنةً في الحبّ أو عشر سنين
لك ما ارتضيت
قسمةً من أثر الأولين
لك ما ارتضيت
وقوفٌ بشرفة الحائرين
لك ما ارتضيت
نظرةً حَيْرَى وراء الآفلين
لك ما ارتضيت
وترٌ ناشرٌ في فضاء العازفين.

ذُقْ لهفَةً حَيْرِي
ذُقْ لحظةً سَكْرِي
تذوب في كَفِّ النَّهَارِ
ويميل صوتي معزياً:
"نفسِي على حَسْرَاتِهَا موقوفةٌ
فوددت لو خَرَجْتَ من الحسرات
لو في يديّ حساب أَيَّامِي إذن
لصرفتَهنَّ تعجّلاً لوفاتي ١"

١ عنان جارية الناطفي: كانت من مولّدات اليمامة، وبها نشأت وتأدّبت، وكانت أول من اشتهرت بقول الشعر في الدولة العباسية، وكان فحول الشعراء يعارضونها فتنتصف منهم . . البيتان من شعرها. (المستظرف من أخبار الجوّاري، ل السيوطي ص ٣٨ - ط ١٩٧٦م).

درهم ضرب اليمامة سنة ١٦٧هـ

الوجه

المركز:

نداءً بصوتين:

وحيدةً أنفسنا

تسير في درب الظمّاء.

الهامش:

تختار من تراه

لظلال الفناء

ونزيب الظباء.

النَّصْر

المركز:

عينان حائرتان
كعاشقتين غامضتين
تمضيان في الليل.

الهامش:

شفاه طائشة
ذوائب طائشة
في صحراء طائشة.

١ ضرب من الدراهم الفضية في دار السكة في حجر اليمامة، وذكر اسم حجر عليها في السنوات ١٦٥هـ، ١٦٦هـ، ١٦٧هـ في عهد الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ).



(الصورة بعدسة: ماجد سليمان، عام 2021م)

فهرست

الملهاة النجدية

I

ما دبّجه الأعشى قبيل موته

- [تنويه - كُرَّاس (أ) - كُرَّاس (ب) - فاتحة - الرِّقّ الأوّل: ليل أزقة منفوحة - صوت أبي ليلى المهلهل - صوت آخر - الرِّقّ الثاني: فتیان الحيّ أخبروني همسا - صوت عنتره العبسي - صوت أبي زيد الهلالي - الرِّقّ الثالث: يبيعون الخمر والمذهب - صوت امرئ القيس - صوت آخر - كُرَّاس (ج) - كُرَّاس (د) - الرِّقّ الرابع: نساء السّاعات الأولى - صوت قيس بن الملوّح - صوت آخر - الرِّقّ الخامس: فجر عارض اليمامة - صوت جرير - صوت آخر - الرِّقّ الأخير: حذاء في رئة الدهناء - صوت هوزة ذي التّاج - صوت ثمامة بن أثال - صوت زرقاء اليمامة]

II

الألواح النجدية

- [كُرَّاس (أ) - ورقة منزوعة من التاريخ النجدي - النجدي الكبير - النجدي الصغير - النجدي الآتي - أحد عشر ليلاً لليمامة - المقامة النجدية - كُرَّاس (ب) - رسالة هوزة ذي التاج إلى ثمامة بن أثال - النجدي يعود إلى أهله - غناء نجديّ - الطريق إلى جوّ اليمامة - مخطوط نجدي - ما سقط من ذاكرة النجدي - لحن ندي على وتر نجدي - الوحيد في الظلام - كُرَّاس (ج) - كُرَّاس (د) - شذور على جبل التوباد - أصوات النجادة الأواخر - العودة من العقيق - ينادي: توغلوا - شذور على وبر ناقة البسوس - حوار غرب المجازة - حادي النوق من حجر إلى جو - آخر الرّعاة في وادي الكلاب - مراثي الجليلة بنت مرة - امرؤ القيس ينتحل نثراً - التدوين الأخير للكندي - كُرَّاس (ر) - كُرَّاس (س) - معراج على جبل رأس الكلب - صرير الأبواب النجدية - الظعن الأول - غناء حسب التوقيت النجدي - رحيل العرب النجدية - نثيرة تنسب إلى جرير - هامش على الملحمة النجدية - كُرَّاس (ص) - وَشِيّ على عباءة نجدة بن عامر - العرضة النجدية - التلاوة النجدية - هواجس عنان اليمامية - درهم ضرب اليمامة سنة ١٦٧ هـ - صورة بعدسة الكاتب]

تمَّت المَلْهَافَةُ فِي التَّاسِعِ مِنْ شَهْرِ شَوَالٍ
مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ
مِنْ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ.

تدور المَلْهَأة ضمن خريطة مكانية هي (بِلادُ الِيمامة)، مُزوّدة بإشارات مرجعية، وتوزّعت على قسمين، حَمَل أولهما العنوان الفرعي للملهأة «ما دَبَّجَهُ الأَعْشى قُبَيْلَ موته»، مُنتزِعاً صَوْتَ الأَعْشى من سياقه التاريخي إلى سياق أدبيّ، وجاء الثاني تحت عنوان «الألواح النَّجديَّة»، في وحدة موضوعية، مُقسّمة على مقاطع مَوْصُولَة بخيَطٍ واحدٍ وقاسمٍ مُشْتَرَكٍ، يتداخل فيها التاريخ والوصف والسرد والشعر.

إقليم اليمامة، حيث الحياة المتنوّعة والحالمة على امتداد جبل العارض، والمدار الذهبي لهذا العمل الأدبي، يرسم ماجد سليمان بدراية نصوصه البصرية مُحاكياً عَرَباً تعاقبت عليهم السُّنون والحوادث.

ماجد سليمان، أديب سعودي، تنوّع أدبه بين الشِّعر والقصة والرواية والمسرحية، وكتب حول أعماله عدد من الأطروحات العلميّة، والدراسات النقديّة في جامعات محلية وعربية وعالمية، وتُرجمت بعض نصوصه إلى لغات منها الألمانية والبوسنيّة والإنجليزية.